# قصص مجرية

# قصص مجرية

للكتاب :

تيبور تشيريش

إيفان بولديجـ

أرنو أوربان

فيرنس كارنتى

أندير جالليرى

جيجموند موريتز

جيولا إيلليش

لايوش ناجى

توماش أوستيل



رسم الغلاف بريشة الفنـــان

« حسن فؤاد »

اللوحات الداخلية للفنانين :

أبو العينين

كنعان

مسعودة

حاكم

صلاح جاهين

مصطفى حسنين

قطب

القصاص

صدر عن دار الفكر — الطبعة الأولى سنة ١٩٥٦

دار الهنا للطباعة والنشر ت : ٤١٧٠٥

## مقدمة .

ليس فى بلادنا من يعرف الأدب المجرى الحديث كما ينبغى .. !! أعترف بهذه الحقيقة ، وأعترف بأن آدابا أخرى كثيرة ما تزال مجهولة لدينا ، وان كانت تعبر عن وجدان شعوب حبيبة شاركتنا نفس المعارك ضد قوى الظلام ، وتشاركنا نفس الاندفاع الى مستقبل زاهر من التعاون والسلام والاخاء .

وأدبنا المصرى الحديث أيضا مجهول فى بلاد كثيرة من الارض . ولا ريب أن دار الفكر حين تنشر هذه المجموعة من القصص المجرية الحديثة ، فانما تقدم الى القراء العرب تعريفا بحياة الشعب المجرى ، وانطلاقاته ، وآماله ، وحياة كل يوم ، وأمل كل نهار وليل ..

ولقد حاولت أن أعتذر عن كتابة المقدمة حين طلبتها منى دار الفكر ، لأنى لا أعرف الكتاب المجريين المعاصرين ولا أعرف آثارهم .. وان كنت أعرف أن أدب المجر هو أدب معركة وبناء وانطلاق ..

نحن فى مصر لا نكاد نعرف الا بيتوفى شاعر المجر فى القرن التاسع عشر .. الرجل الذى حمل مأساة عصره ومصيره وشعبه ، وانتفض بكل حب للحياة يتغنى للأمل والحب والحرية فى كلمات ملتهبة ذات رنين فاجع ولكنها لا تعرف الكآبة أو اليأس أبدا ..

نحن لا نعرف غير بيتوفى ، ولكننا ندرك أن فى الادب المجرى الحديث شعراء وأدباء يجرى فى شرايينهم نفس الدم هــو الذى تتوقد فيه جذوة الأمل الانسانى ، ودفء الاخاء والثقة .
فى الادب المجرى الحديث فنانون يعيشون معركة شعبهم من أجل السلام والثقافة والحق .

ونحن نعرف الشعب المجرى . نعرف المعجزة التى حققها جيلا بعد جيل .. نعرف طاقاته وانطلاقاته وجهاده الرائع بعد الحرب ليقيم علاقاته بين أفراده وبين شــعوب العـــالم على الحب والصدق والشرف والعــدل . ونحن ـ على أية حال ـ نهتم بالشعوب .. لا بالرجال !

ولا ريب أن الشعوب العربية التى تشعر بروعة صداقة الشعب المجرى وغيره من الشعوب المحبة للسلام والثقـــافة والفن والتعاون .. لا ريب أن القراء فى البلاد العربية يرحبون بأدب الشعب المجرى مترجما الى لغتنا .. لأننا من خــلال هذا الادب نتعرف الى حياة شعب صديق .. وليس أروع من أن يعرف الانســان جــلال اللحظات الفائقــة فى حيــاة الذين يحبهم .

من أجل ذلك فنحن نطالب دائما بمزيد من التبادل الثقافى .. ونحيى دائما كل خطوة فى تدعيم هذا التبادل .. لاكخطوة

فى حماية السلام العالمى فحسب ، وانما كوسيلة لتــدعيم الحب بين الشعوب أيضا فالثقـــافة والفن والادب تلمع فى حياتنا بكــل روعة الاشراق الذى تثيره ومضـــــات النظرة الانسانية الحانية ، فيهتز بها القلب ويفيض بالحنان فجأة ، وتدفع من أعماق النفس رغبة لا تقاوم فى اجتناء الســعادة وممارسة كل ما هو رائع فى الحياة ، وفى حماية كل ما نحب.

ان هذه المجموعة من القصص المجرية التى تعرف القارىء العربى بحياة شــعب يحبه ، وتحمـــــل اليه أثرا من ثقافته .. وتلقى أمام عينيه وفى قلبه أسماء كتاب يعيشون فى عالمنا الحديث ، ويعبرون عن وجدانه وعن أمله وعن نضـــــاله لينتصر على الجنون .

مرحبا بالأدب المجرى الحديث مترجمــا الى لغتنــا .. ومرحبا بكل الآداب المعبرة ــ فى صدق ــ عن الشعوب المحبة للسلام ..

وتحية للشرفاء الذين يعملون لتــدعيم التبـادل الثقافى بلا ضجيج وبلا ابتذال .. وبكل كبرياء الثقافة ، وبــكل حرصهم على تقوية العلاقات بين الشعوب .

عبد الرحمن الشرقاوى

# مكافأة الراعي

للكاتب : تيبور تشيريس

ترجمة : مختار العطار

كان ميهالى باسينت شديد الحنق على أهل مدينة سادانى .

ما فائدة الإبراق إليهم إذا لم يكن من أحد قد جاء لانتظاره على المحطة !؟ لم يكلفوا أنفسهم حتى عناء إرسال عربة تلتقطه من على الإفريز .

إن المدير قال لباسينت قبل أن يفترقا: « إنهم سيعدون احتفالا دون شك . إننا أبرقنا اليهم . . . وسيدعونك إلى وليمة فاخرة شأنهم فى الريف . هل أخذت المظروف ؟ والشهادة ؟ آه ؟ هذا جميل . أخبرهم فى خطبتك أننا نتوقع مزيدا من الصوف فى العام المقبل . . »

والآن لم يعن أحد باستقباله . رحل القطار . . وبقى باسينت نافذ الصبر ، يقرع الإفريز جيئة وذهابا .

جاء حمال بعربته ( اليد ) ذات العجلتين ، حمل عليها ما أفرغه



قطار الظهر من طرود .. ليتهم أرسلوا عربة لتلتقطه هو أيضاً .. بدلا من أن يشرع فى المشى هكذا ، فى ذلك الطـــريق ذى الكيلو مترات الثلاثة ، حتى يصل إلى مكاتب الجمعية التعاونية للمنتجين ، لكن ربما كانوا ينتظرونه هناك تلهيهم الإعدادات من أجل الاحتفال .

إلا أنه فى قرارة نفسه يشك فى ذلك بعد هذا الاستهلال العاثر.

* * *

وحين وصل إلى المكاتب منهكا يعلوه الغبار ، شاهد على واجهة منزل أصفر لافتة عريضة ترشده إلى حيث يذهب . فعبر فناء ، وحديقة صغيرة ، ثم دهليزا طويلا وفراندة ، حتى دخل البناء . . دون أن يلحظ أثرا واحدا للإعدادات المزعومة .

دلف إلى باب مفتوح ، فلم يلتفت إليه أحد ، رغم أن ثلاثة أشخاص كانوا يشغلون المكان . رجلان وامرأة إثنان منهم يتحدثان بأعلى مايستطيعان من صوت . وهم جميعا منغمسون فى شئونهم الخاصة .

ومن الواضح أن الرجل والمرأة ـــ التى لم تكن صغيرة ـــ كانا متفقين فى الرأى . بينما الرجل الأصفر ، يقف ويقترح رأيا مخالفا فى العمل الذى يصلح لشخص معين غير موجود . .

تقول المرأة فى عزم « إننى أخبرتك يافيرنس . لن أدعه يذهب هذا العام . كم أنا سعيدة بأنه شب بالقدر الذى يسمح له بمعاونتى . »

ـــ لكن هناك مكانا ينتظره فى بودابست وقد تأخر أسبوعين بالفعل .

وأردف الرجل الجالس خلف المكتب قائلا . « لا تستطيع أن ترغم أحدا يافيرنس فى الحقيقة أنهم جد محتاجين اليه هنا . »

« من يرغم ؟ . جيزا تواق للذهاب ، وعمله هنا تستطيع إمرأة أن تقوم به إلى جانب حلب الماشية أيضاً . . حتى لو اتفقت معك إن لوالدته الحق فى كلمة مهما يكن من أمر . »

« هكذا ! ألست شيئا يذكر ؟ أليس لى الحق فى أن أقرر ما يعمله طفل فى الثالثة عشر ومالا يعمله ؟» قالت المرأة ذلك وهى تحتدم غضباً . كانت تعصب رأسها بمنديل ينعقد تحت ذقنها . يهتز جناحاه مع كل كلمة تنبس بها . . بينما وجهها الذى لفحته الشمس يضىء عنقها من تحته كجسم الطائر .

قال الرجل الصغير : « عمره أربعة عشر . . » وكان يرتدى ملابس توحى بأنه ذاهب إلى مكان ما .

* * *

طرق الضيف زجاج الباب كيما يعلن قدومه ثم أردف :

« أنا ميهالى باسنت من الغرفة التجارية للصوف . لقد أبرقوا إليكم عنى . » إستعاد الرجل الأصغر إسم الضيف بقليل من الدهشة ، ثم علا صوته وهو يقدم نفسه كسكرتير الحزب فى الجمعية التعاونية . وفى نفس الوقت هبطت المرأة من مقعدها المرتفع وغادرت الغرفة . أما الرجل القابع خلف المنضدة فاتضح أثناء المصافحة أنه رئيس الجمعية ، وفى التو ، شرع فى التنقيب بين الأوراق المبعثرة على المنضدة حتى عثر بالبرقية ، فعرضها عليهم وهو يصيح منتشيا :

« هاهى ذى . وجدتها . وصلت هذا الصباح . » ثم سلمها لسكرتير الحزب ليقرأها .

تفيد البرقية بأن مندوب الغرفة التجارية يود أن يسلم شهادة لأفضل جزاز للصوف فى المنطقة .

تساءل السكرتير وهو يلقى بنظرة حادة إلى الرئيس « إلى شاللاى ؟ » . . وكان من الواضح أنه يرجو لو ينفرد بشاللاى هذا فيلقيه إلى النار رغم أنفه .

قال باسينت : « نعم إلى شاللاى . متى يمكننا أن نقيم حفلا ؟ عندى شهادة شرف من أجله . »

« إننا مشغولون بتفريط الذرة يارفيق ، والعمل يستغرق وقت كل رجل وكل عربة . . لا يمكننا أن نحتفل بشاللاى قبل . . على الأقل قبل يوم الأحد . »

لم يكن من العسير على باسينت أن يدرك الموقف . لكن أين هو من يوم الأحد ! وترامى صوت سيارة تقترب ثم تقف أمام المنزل . فصاح السكرتير .

« لقد حضروا من أجلى . . . إنى ذاهب لحضور اجتماع لجنة المنطقة . لا تؤاخذنى يا رفيق . . إن رئيسنا سيدبر الأمر . . » وشفت مصافحته عن مبلغ أسفه .

قال الرئيس وقد أضاءت فى ذهنه فكرة

« يمكنك أن تذهب على قدميك . . . ليس المكان ببعيد . »

« كم تبعد حظيرة الماشية من هنا بالضبط ؟ »

« عشرة كيلومترات . . . . إثنان منها على طريق والباقى بين الحقول . »

ولكنه لاحظ أن فكرته لا تلاقى ترحيبا من الضيف فاستطرد « انتظر قليلا . . » ورفع سماعة التليفون يسأل مكتب البريد . ثم تحدث إلى رئيس مجلس إدارة البلدية:

« اسمع يا لاتزى . هل تتحدث من مكتبك ؟ أنظر من النافذة إذن خبرنى إن كانت عربتنا التى تحمل براميل الماء هناك . ماذا ؟ إرسل إلى جيسا كى يحضر حالا . . »

ومرت بضع دقائق ثم أقبلت عربة وقفت عند المدخل . كان يقودها صبي صغير الهيكل . أوقف الحصان وهو ينادى الرئيس « ماذا تريد ؟ »

فأجاب الرئيس وعلامات الأسى تكسو وجهه: «أصحب هذا الرفيق إلى حظيرة الماشية »

إلا أن الصبي انفجر غاضباً : « عارف . لقد زارتك أمى مرة ثانية »

« لم أرها منذ أيام. » ولكن الرئيس كذب فى لطف ، شأن الكبار مع الأطفال دائماً . وعاود الصبي صياحه معارضا حتى يشرح له الرئيس جلية الأمر ، خاصة وأنهم أفرغوا حمولة العربة من البراميل . وعاد الرئيس يقول : « اعمل معروفا » .

ولم يأبه الصبي لكل من الرئيس أو باسينت . ولكنه عاد فدعا الضيف إلى مشاركته مقعد السائق . وما أن رفع سوطه حتى انطلقا . .

* * *

فى الطريق قام باسينت بمحاولتين لاخراج الصبى من صمته . لكنه فشل وحين استدار ليخترقا الحقول تمتم الغلام قائلا :

— إمسك اللجام لحظة من فضلك.

— هل حدث شىء .

— كلا بالطبع . أريد فقط أن أقطف بعض الثمار من تلك الكمثرى فى البرية .

وأحال اللجام إلى باسينت ثم قفز من العربة وعدا نحو أكمة تبدو خلف بعض الشجيرات . وفى الأرض المكشوفة كانت تسمق خمس شجيرات من الكمثرى البرية ، ويخيل للرائى أنها تدفع الشجيرات بظلالها . وترامى صوت الغلام من هناك .

— دع الحصان يرعى .

أما الشجيرات ، وثمار التوت الأحمر التى تطل من بين أوراقها فكانت كأنها تسخر من الضيف المقبل من المدينة . وتساءل باسينت عن حقيقة البقع الصفراء التى تبدو بين الأشجار . ترى هل تلك هى الكمثرى البرية ؟ وشعر باللجام يتحرك فى راحته . كان الحصان يقترب من بقعة ينتشر فيها كلأ خريفى أخضر ، كأنه أدرك صيحة الغلام . وحين قصرت عنقه عن بلوغها ، تقدم خطوة ساحبا العربة من خلفه ، ولكن اللجام كان يحول بينه وبين الرعى فهبط باسينت ليعينه حين لاحظ ذلك ، فحاول أن يخلع قطعة الحديد من فم الحصان . لكن ماذا يدرى هو من شئون الخيل ؟

إنه مقبل من منطقة تشيبيل الصناعية . فحين استعصت عليه الرشمة حاول أن يجد حلا للأمر عند السرج . وهو كذلك . لقد نجح فى مهمته .

أما الغلام فكان يطيح بقطع الخشب نحو الشجرة . فترتطم بالأغصان الشاحبة الذابلة . وبعد كل مرة ينحنى يلتقط شيئا من الأرض . وكان لا يبحث عن خشبة أخرى حتى تستقر السابقة فى مكانها . إن الوقت لا يتسع لتسلق الشجر . . ويحسن به أن يسرع لأن الرفيق قد عيل صبره دون شك .

هكذا كانت تدور أفكار الغلام .

أما الرفيق فكانت أصابعه تتلمس مظروفا فى جيبه ، يحوى ألف فورنت . إنهـــا ملك شاللاى أفضل راع يجز الصوف . وأعادت النقود إلى ذهنه أفضلية إحضار الرجل العجوز إلى القرية وإقامة احتفال يتسلم إبانه الجائزة وشهادة الشرف حتى يشاهد الجميع مبلغ التقدير الذى يلاقيه الراعى الماهر . .

مازال الغلام يتطلع إلى الشجرة . . . يقذف بالخشبة . . . ثم ينحنى يلتقط الثمرة الناضجة بينما تتدحرج الأخريات من « عب » قميصه .. حتى جمع ما يكفيه ، وها هو يقفل عائداً إلى العربة ليعيد ترتيب الرشمة حول رأس الحصان بينما يهز رأسه هو . .. يفكر بأن رجال المدينة لا يجب أن يقتربوا من الخيول . ولما كان قميصه ينتفخ بالكمثرى البرية من أمام ومن خلف ، فقد شد حزامه

جيداً ليحول بين الثمار والسقوط .. دفن راحتيه فى «عبه» مخرجا حفنتين من الكمثرى وهو يقول : «خد هذه وتذوقها»

تناول باسينت بعضها يوزعه على جيوبه وهو يردف : «أيتها أفضل ؟»

«البنية اللون أنضج. أما الصفراء فلاذعة المرارة أحيانا»

«خالية من الدود ؟»

«فى هذه ؟ .. إنها شديدة المرارة ! لا يمكن للدود أن يلمسها»

ثم استأنفا المسير يلوكان الكمثرى الصغيرة الناضجة ، بينما شفتا الصبي تمصمصان .

«مازال المكان بعيداً ؟»

«عبور الحقول يستغرق نصف ساعة على الأقدام .. والمسافة أطول على الطريق .. لكننا نسرع فى قطعها بركوبنا هكذا .»

.. وتابعا مضغ الكمثرى وأكلها .

«إنها تعوض حاجتنا للماء ، وتملأ المعدة .. لن يكون هناك غداء قبل العصر حتى تنتهى والدتى من خبز الذرة .»

وأومأ باسينت مؤمنا .

فى الأيام الخوالى لم يكن له غداء فى المصنع سوى الطعام البارد الذى يصطحبه معه ، أما الآن فالأمر يختلف ، إنهم يعدون طعاما ساخنا فى المصنع .

«وأبوك ؟»

«لم يعد من الحرب»

وأومأ باسينت مؤمنا مرة أخرى .

«هل حالكم أفضل فى الجمعية التعاونية ؟ »

«طبعاً .. لم يكن بوسعنا أن نفلح أفدنتنا الستة وحدنا . حتى هذا الحصان لانملكه ، إنه ملك للتعاون . . أنا وأمى نشتغل الآن من أجل المراكز».

«مراكز ؟»

«آه . . مراكز العمل ، وفى النهاية توزع النقود على العاملين» .

« ألديكم كثير من تلك المراكز؟ »

« عندنا مايكفى. لكننى أحب أن أذهب إلى بودابست لأصير ميكانيكيا . . هناك مكان لى فى المدرسة . . لكن» .

«هيه . . ؟»

« هناك مكان لى . لكن أمى لا تريد . إنها تحب أن تشاهد إحصاءات وحدات العمل فى كراستى الصغيرة . . وتحتج بأننى لن أفيدها حين أرحل إلى المدينة » .

«لماذا لاتكون مفيداً؟»

« هل يدفعون هناك بنسبة تقسيم وحدات العمل كما يفعلون هنا؟»

وأغرق باسينت فى الضحك لهذا الاستفهام . !

«على أى حال . . سأعود فى الصيف إلى المنزل» .

* * *

كان قطيع الماشية يتقدم متباطئا نحو البئر ، أما الراعى فقابع

فوق تل صغير يعمل مطواته فى طرف عصاه ، يصنع بها حفرا . .
والكلب رابض قبالته يتبع الماشية بعينيه حتى لاتحيد إحداها
عن الجادة . وحين رفع الراعى بصره عما يشغله ، لمح عنزتين
تجمحان فى مقدمة القطيع ، فانفجر فى كلبه موبخا معنفاً محذراً :
« أنظر كيف تعدوان . إمنعهما ! »

وهب الكلب إلى القطيع يطلق نباحا عاليا . . ثم عاو .
الرقاد . فذلك كاف ليجعل خراف المقدمة ترفع رؤوسها وتشب
على سيقانها الخلفية ، فيتسمر القطيع فى مكانه كأنه مزورع فى
الأرض . . لكنه يرعى الكلأ . .

ودارت أفكار العجوز وهو يتنهد وينظر فى عين الشمس .

«ما زال الوقت مبكراً ليأخذ القطيع راحة الظهر . . ثم على أن
أطهو وجبة لنفسى . . كم كان بودى ألا أفعل!» ثم أعمل يديه فى
مخلاته مخرجا تفاحة ثم أخرى . أخذ يتأملهما ويشمهما . . ثم رفع
رأسه حين نبح الكلب . ونقل بصره بين كلبه والقطيع . لابد أن
الكلب يشم رائحة شىء . . ثم برز من بين الأشجار المدلاة الفروع
رجل فى ملابس المدينة . ولم تعوز الكهل سوى ثانية ليدرك
هوية ذلك الرجل ، فأعاد التفاحتين إلى مخلاته وفتح مطواته وأخذ
يعبث بها حول طرف عصاه وهب الكلب نحو باسينت نابحاً
مزمجراً . لكن العجوز صاح فيه : «اسكت . اسكت» ثم رفع رأسه
قليلا وهم بالوقوف كأنما لم يلحظ القادم إلا فى التو . لكن
باسينت أوقفه قائلا : «لاتقف ياعم شاللاى . سأجلس بجوارك . »
وبعد أن استراح فى مجلسه بسط يده قائلا : طاب يومك . فرفع

العجوز قبعته الصوفية السميكة ، وتطلع إلى شارة الحزب التى يعلقها الآخر فى ياقته ثم أجاب : «الحرية» .

وبعد أن قدم باسينت نفسه قال العجوز : «إننى سعيد بلقائك» . وكست وجهه حيرة لمعرفة الآخر لاسمه .

لا يستطيع المرء أن يبدأ علاقة بإبراز مظروف النقود وشهادة الشرف . طيب . . ماذا يمكنه أن يقول ؟ . . إن باسينت فى المصنع يعرف مواضع أقدامه . . لكن هنا . . !

«ما كان يشغلك ياعم شاللاى قبل حضورى ؟ »

« كنت أحصى زيادة القطيع » .

«النتيجة مرضية على ما أظن ! .. أعلم أنك حصلت على ١٣٧ حمل من ١٤٠ نعجة . . وأنك استخرجت ١٥ رطل صوف من أغلب الماشية » .

فتمتم الكهل وقد بدا فى صوته كثير من الرضا : «نعم . هو كذلك» . لكنه أردف كلماته بالتنهد . . فالمرء على كل حال لايعرف ماذا أتى برجل المدينة إلى هنا .

«ما الذى يضايقك ؟»

«يوجد من المتاعب دائما ما يكفى» . وكان جواب العجوز يتضمن بوضوح إيقاظ دوافع الفضول فى نفس الرجل الآخر . . لكنه استطرد :

«إن صحتى رديئة . . ويعاملوننى معاملة سيئة . إنك لا تعرف إلى أى درجة بلغت سوء المعاملة » .

«إلى أى درجة ؟»

«كل تلك الماشية — وأنا وحدى. ثم سبعة وسبعون عاما ليست عبث أطفال .. لا أحد يساعدنى . . الحملان الصغار ترعى بجوار النعاج فى شهور الربيع والصيف ، من يستطيع أن يرعاها طوال الوقت ؟. هنا تكمن المتاعب. إنها لا تلد جميعا دفعة واحدة ، بل الواحدة بعد الأخرى حتى يستكمل الحمل نموه فى رحم النعجة. لا يجب أن يكون الأمر كذلك . . لو أن أحدا ساعدنى ، أمكننى أن أفصل الحملان عن القطيع . . وما كانت النعاج لتلد فى عرض الحقل . إن عمرى لا يسمح بأن أعدو من خلفها بينما أحمل الحملان الوليدة. لكن كيف يمكننى أن أدع تلك الكائنات الرقيقة تتبع أمهاتها سيرا على سيقانها الضعيفه الطرية ؟»

وفى خلال الحديث برز رأس أسود من داخل معطف الراعى من الخلف . إنه حمل أسود صغير رفع رأسه وبعث مواءا خافتا قطع به حديث الرجل الكهل . لكنه استطرد :

«ولد هذا فى البارحة بين المروج . . لكنهم قوم لا يأبهون بالحملان ولا بالراعى العجوز» . فتبسم باسينت لنفسه لدى سماعه تلك الكلمات . «ما من عون. أنا ونفسى وحسب . ثم خفض من صوته وهو يستأنف : إنهم كلفوا امرأة بمساعدتى . لكننى أعلم بغيتى . . وإنها ليست بامرأة على أى حال . هل سمعت بشىء كهذا من قبل ؟ . امرأة . . راعية ؟»

وحاول باسينت أن يبدأ الحديث سائلا : «هل هذه متاعبك»

وأسف على الفور لما نبس به .. لكن العجوز لم يلحظ لحسن الحظ . ولم يلحظ كذلك أن رجل المدينة يبحث فى جيبه كمن ينوى أن يخرج شيئا .. بل استطرد متحدثا :

« ذلك لأنهم يعلمون قدرى كما تعرف .. نعم ، دون شك . فقد كنت كبير الرعاة أيام كانت تلك الضياع ملكا لصاحب الفخامة يوشكا شوتتان .. وكان راعيان صغيران يعملان تحت إمرتى . أما المالك .. كان المالك يعاملنى بكل لطف . بوسعى أن أذكر أحد الأيام قبل الحرب العالمية الأولى . كانت إحدى أسنانى تؤلمنى بشكل يدفع إلى الجنون ، ربما الضرس ، وربما شىء آخر . لكننى انطلقت إلى الحقول فى الصباح الباكر ثم لففت نفسى فى معطفى ورقدت على الأرض . وفجأة . شعرت بأحدهم يغمزنى بعصاه .. وقد كان صاحب الفخامة :

«ماذا دهاك؟ هل أنت مريض؟» فقفزت أحاول أن أستقيم فى وقوفى وقلت :

«كلا . . لست مريضا . . لاشىء البتة ، غير أن أسنانى تؤلمنى أشد الألم» .

. .. «والآن. صدق أو لا تصدق ، فإن صاحب الفخامة نادى سائق عربته وقال — يايانوشى، إننى أعتز كثيرا بهذا الرجل ،هات رجلا من المزرعة يأخذ مكانه ثم اصحبه إلى الطبيب فى أوكانى . وكان رجلا واسع العلم . قال له صاحب الفخامة — يادكتور ، هاك رجل من أفضل رجالى .. لكن أسنانه تؤلمه و تمنعه من رعى

الغنم . هل تستطيع أن تعالجها بحيث لاتؤلمه مرة ثانية ؟ فطلب الطبيب منى أن أفتح فمى . ثم نظر إلى صاحب الفخامة وقال — نعم، أستطيع أن أعالجه تماما .. ثم دأبت على زيارة الطبيب طوال أسبوعين ، ولم يكن من طبيب قد كشف على حتى ذلك الحين . وكانت عربة صاحب الفخامة تقلنى فى الذهاب والعودة . لقد نثر الطبيب مسحوقا سحريا على أسنانى ، فبطل ايلامها فى اليوم التالى كأنما نزعت جميعا من فمى . . لكنى داومت على عيادته حتى ينقضى الأسبوعان وفى النهاية شكرت الطبيب لماسببته له من عناء لكنه افهمنى أن ليس ثمة من قلق حيث دفع صاحب الفخامة كل النفقات والحقيقة أن أسنانى لم تعد تؤلمنى بعد ذلك أبدا . ثم مضى شهران أو ثلاثة فماعت جميعها ، حتى إننى كنت أخلعها بإصبعين .. وكانت تلك هى النهاية .»

أما باسينت فقد عاود العبث فى جيبه دون قصد .. يوشك أن يسلم الكهل جائزته .. لكن الوقت لم يحن بعد .. فسأل قائلا :

« وماذا تأكل طوال تلك الأعوام بلا أسنان ؟ »

فأبدى شاللاى حركة مبهمة وهو يجيب :

« شوربة خضار » .

« لاشىء آخر ؟ »

ليس غير الشوربة مرتين فى النهار . فى الصباح والمساء . لكننى سئمتها منذ ستة شهور تقريبا فجعلت أطهوها مرة واحدة فقط إنها لا تضايقنى فى الواقع . فالملح والفلفل فى مخلاتى ، كذلك الخضار الذى تعده زوجة ابنى . ثم أضيف إليها الدسم بشىء من

شحم الخنزير . لو أن معى شيئا أحفظ فيه السمن لكانت أفضل . لكن ليس معى . والسمن يذوب فى الورق . . لذلك أقطع بعض الشحم ألقيه فى الشوربة . وتلك هى طريقتى فى الطعام من خمسين عاما خلت ! »

وهنا ألمت الدهشة بباسينت ، وراجع نفسه فيما لو كان ذلك الكهل جديراً بالجائزة والشهادة » .

وصاح العجوز فى الماشية : «ابتعدى عن الطين عليك اللعنة» . ذلك لأن بعض الماشية حاولت أن تشرب من الماء الآسن من دون القناة . ثم أهاب بالكلب : «إمنعها يا كوكوز» . وقفز إلى البئر يخرج منها الماء ، بينما الكلب يحول بين الماشية والطين .

وكان الدلو ثقيلا فبالغ العجوز فى انحنائه من فوق البئر . والبئر متسع مستدير . والسلسلة تجذب الرجل نحو الوسط . . وما أن أخرج الماء حتى عاود استذكار شكواه من البئر :

«انهم لم يثبتوا المعبر من فوق البئر ، مع أنهم ثبتوا عجلة جديدة فى الربيع الفائت . والصندوق جديد كما ترى . لكن نظرة إلى المعبر فحسب» . قال ذلك ثم انحنى من فوق البئر ، وأخذ يحرك قطعة من الخشب فوق الماء ، مشدود طرفاها إلى الصندوق من حول البئر .

لقد قلبت خلاته حركته المفاجئة .

فاستدار شاللاى بينما صاح باسينت :

«تفاح ؟ »

«نعم تفاح . لكن أين القوة . والجرأة ، أيام أن كنت » . .

« كيف تضغ التفاح؟»

وفكر شااللاى . لم يريد أن يعرف .. ربما يريد واحدة .. حسنا ، يمكنه أن يأخذ لو كرر سؤاله.

وأجاب شااللاى : «لا أقدر» ثم عرض فمه الخالى من الأسنان وهو يستطرد : « ولكننى أطهوها أحيانا .. فبينما تغلى الشوربة أسلق تفاحة أو إثنتين .. إن التعاون يملك أشجار تفاح . إننى أحضرتها من هناك . إذ تسلمت أنا وابنى ٢٣ أقة، فكانت ذات فائدة»

وترامى إلى آذانهم صوت عربة تقترب ، فأغلق العجوز مخلاته وهو يرفع الرأس متطلعا : «من ذا يا ترى ؟ »

«إنها العربة التى أقلتنى إلى هنا .»

فظلل العجوز عينيه براحته وهو يقول دهشا :

« ظننتك مقبلا على قدميك .. آه .. إن مساعدى يقودها .. ربما أحضر لى شيئا . إنه أصبح سيدا منذ تركنى .. لا يسير الآن بل يقود عربة .. »وأقبلت العربة متهادية حتى أوقفها جيسا أمام الكهل . ثم قال وهو يعبر بالسوط اكثر مما يعبر بالكلمات :

«هل تبقى طويلا ؟ فإما أن أحل الحصان أو أعود أدراجى».

فأردف باسينت مهدئا : دع حصانك يرعى . ثم التفت إلى العجوز :

« كيف كانت معاونة هذا الصبي لك ؟ »

«ذلك الغادر .. تركنى وحدى رغم أننا أمضينا كثيرا من أمتع الأوقات أيام أن كان الجوحارا .»

ولما لم يبد الصبي ميلا للاقتراب . مال شاللاى يهمس فى أذن باسينت شأن الأصدقاء القدامى :

«دع الغلام يقترب ، لأننى أخجل من دعوته» .

فتقدم الصبي بإحجام ، حتى توقف على بعد خطوات ينتظر أن يفصحا له عن بغيتهما منه . وكان يتطلع إلى باسينت بينما شاللاى هو الذى وجه الحديث فى صوته العجوز :

«لماذا هجرتنى ياجيسا ؟»

«لأنك قذفتنى بعصاك» فأغرق العجوز فى الضحك وقال :

«كنت أهزل» .

«تهزل ؟ كنت ستكسر ساقى لولا أننى وثبت لحسن حظى» .

«ألهذا فقط لم تعد إلى» ؟

«لا : ليس فقط» .

« ماذا أيضا ؟ »

«أريد الذهاب إلى المدرسة . العم ميهالى جوبا وافقنى على ما أراه من أننى لن أصبح راعيا إذا لم أرغب فى ذلك » .

«من المؤسف أن السكرتير نفسه يقول ذلك . ولماذا إذن لم يرسلوا إلى بصبى آخر ؟ »

«ليس من صبى واحد فى التعاون يرغب فى أن يصبح راعيا . وربما لايوجد أحد فى البلدة كلها .. لكن هناك العمة بيروش» .

وكانت تلك الجملة سببا فى إغضاب الكهل فصاح :

«هل تسخر منى أيها الشيطان الصغير ؟ » ولما صمت الغلام

استطرد يقول : « ماذا تريد أن تكون ؟ ماهى أحلامك ؟ »

«أحب الموتورات . أريد أن أذهب إلى المدرسة التى تعلمك شئون الموتورات . »

« حسنا . حسنا ! »

« إلا أن أمى لا تدعنى أذهب ، لأن أخواتى صغيرات ، وأنا أعينها فى حمل الماء ، وجلب الحاجيات » فنظر الكهل فى خليط من العطف والاستهزاء وقال: «إذن فقد أصبحت سقاء ...» وأكمل بعد هنيهه :

«مازال فى مكنتك أن تصير راعيا، ومازال لديك وقت التفكير»

هكذا حدث الصبى . . وكان فى مكنته أن يحدثه عن مبلغ الحسن فى حياة الراعى . خصوصا فى الصيف ، حيث يجد بقعة رطبة بين الحقول وتحت الشجر . بينما يكدح الفلاحون تحت لهيب الشمس . لكنه آثر الصمت أمام رجل غريب . إلا أن الغلام أردف فى جرأة :

«إن أعمامى تحتج على الخضار الذى تجرع شوربته كل يوم ...»

ولكنه فقد تلك الجرأة التى استعادها ، حين لاحظ أصابع الكهل تنقبض على عصاه وهو يجيب :

«هذا ما تستأهله حتى لو فضلت شوربة الفراخ . .» لكن الطفل تابع كلماته .

«أنا أحب الدجاج مشويا ، بينما أنت تحبه شوربة . . لا شك أن فقس العام الماضى قد نضج فى فناء العمة بيروش . . » .

وخجل العجوز أكثر من اللازم إزاء ذلك الجواب الغاضب المتعجل . ثم تمتم :

«لا تستطيع أن تسكت صبياً لوقت طويل . .»

«أنظر هناك . أنظر . العمة بيروش مقبلة .. إنها تحضر شيئاً فى سلتها . .»

هنا ، قفز شاللاى كمن لدغته حية . ثم عدا ووقف . . وعدا ثانية فى ذعر . أما العمة بيروش فلم تتعد الأربعين ولم تزل تحتفظ بشبابها . . لم تكد تدنو حتى ألقت بالتحية على الجميع . . ثم قالت :

«هاك نصف الفرخة الثانى يا عم شاللاى . . طهوتها بعناية وإليك خضار بجانبها . . فاجلس . . وكل . . فما زال الطعام ساخنا . .»

أما العجوز شاللاى فكان خجلا حتى ليود لو تبتلعه الأرض لكنه جلس بينما ترتجف الملعقة فى يده ، ومرت الدقائق الخمسة عشرة فى سكون بينما كان يلتهم الطعام . وأما باسينت فقد استدار ، بينما بيروش تداعب الكلب ، وجيسا لا يرفع البصر عن الرجل العجوز ، الذى خاطبه قائلا :

«هاك قطعة من الصدر . إنها لك » ومد يده بالملعقة للصبى .. الذى انتظر هنيهة ثم تناولها . وحين مصمص شاللاى العظام وانتهى ، دب السرور فى أعطافه فجأة وقال ضاحكا :

«لو بقيت معى لأكلت الكتاكيت فى كل يوم ..»
لكن بيروش أخذت الحديث على محمل الجد وأردفت :
«لم يبق سوى ستة عشر كتكوتا .. يجب أن نتروى .. سأعمل حسابا لزوجة ابنك» . وأشاح لها شاللاى بيديه وهو يقول : «لا تتكلمى هكذا .»
ثم حاول باسينت مرة أخرى أن يوضح الغرض من رحلته قائلا :
«إن العم شاللاى يمكنه أن يأكل مزيدا من الكتاكيت المسلوقة فيما بعد ، لأن ...» فقاطع الكهل قائلا :
« مزيداً من ... ؟» وحملق فيه ليتبين مبلغ ما فى حديث الضيف من سخرية . ثم انصرف متمهلا مبتعداً عن الماشية ، ودب الضيق فى نفسه .. الا ليتهم حضروا فوجدوه نائما .
«منذ إعادة توزيع الأرض وظفرنا بنصيب فيها لم نأكل الكتاكيت إلا نادراً . أما بعد أن قامت الجمعية التعاونية فقد تحسن الأمر . »

* * *

حان الوقت ليعود الصبي إلى المنزل فسأل باسينت :
«لماذا لم تعطها له ؟» وسأل شاللاى بدوره مستطلعا :
«ما الذى تتحدث عنه ؟» وهنا قال باسينت متردداً :
«يقصد الجائزة .. حسناً .. يريد أن يقول أن أفضل جزاز قد حصل على جائزة .. وأنك فزت بها .»

فأدار شا اللاى رأسه نحو الخراف المتهادية إلى مكان قيلولتها وألقى نظرة على الحمل الأسود الطفل ، الذى يقبع فى معطفه ويجب أن يذهب به خلف أمه . وعلى كل فشا اللاى يريد أن يترك المكان لأنه يظن أنهم يسخرون منه .

«إن البلاد واسعة ، وهناك رعاة كثيرون . كيف عرفتم من هو أفضل الرعاة ؟ » .

ومضى ربع ساعة قبل أن يتمكن باسينت من طرق جميع السبل لإقناع الكهل بحقيقة أنه قدم أكبر إنتاج من الصوف . إلا أن النقود فى يد باسينت لعبت فى الاقناع دوراً أهم من الكلمات بالإضافة إلى إنصات جيسا وبيروش طوال الوقت دون أن يضحكا . . كل ذلك ألبس الأمر ثوب الحقيقة ثم أنهى باسينت خطبته القصيرة قائلا :

«سأعطيك الجائزة ياعم شا اللاى يا أيها الرفيق العزيز . . لكنى آسف لأمر واحد ذلك أننى نسيت النبيذ . . وكان يجب أن أحضر بعضه لنحيي هذا اليوم » .

فأردف العجوز : « ستفعل . ستفعل . إنه من الأفضل وأسنانى لا ترفض ذلك » .

كان يتفكه . ولم يعد متشككا . . بل مأخوذاً منتشيا . ولاحظ أن غليونه قلب ، فأصبحت فوهته تشير إلى الأرض .

وأخرج باسينت النقود ، وفى يده الأخرى بدت الشهادة

التى لم يفهم الكهل معناها . بل كان يسرح البصر نحو المائة ورقة من الفورنتات وهى تطل برأسها من المظروف . كأن النظر وحده يكفيه ، فلا يريد أن يلمسها . ثم تمتم فى إبهام :

«زوجة ابنى تبحث عن النقود، منذ ماتت زوجتى .. لكن ..»

وتساقط شىء على شاربه حين نبس بتلك الكلمات . . دمعةواحدة فحسب . . استغرب نفسه بعدها . . ثم رفع رأسه نحو السماء . . فلم يشاهد بها غير السحاب . . فقال لباسينت : « لكن . . هل تعطينى ذلك الخطاب الكبير .. »فبسط باسينت يده بالشهادة ، ففحصها شاللاى وشاهد فى قمتها راعياً صغيراً يقف فى باقة من الزهور ، وحوله خمسة عشر خروفا .. كما توجد بعض الكلمات المخطوطة .. فالتفت .. إلى بيروش سائلا :

«إقرئى يا بيروش .»

فقرأت : «إلى ميهالى شاللاى .»

هنا آمن العجوز بكل شىء ، وبحركة مفاجئة تسللت يده إلى مخلاته تبحث حتى خرجت بتفاحة ، ثم التفت إلى جيسا قائلا :

« كل هـذه فى طريقك إلى المنزل ، وعاود التفكير فيما لو كان مستقبلك كراع خليقاً بك » وكانت عيناه طيبتين فى نظرتهما إلى الصبى .

ثم عاد يبحث فى مخلاته وهو يقول لباسينت :

«بودى أن تتذكرهذا اليوم»ثم خرجت أصابع العجوز تتقبض على زجاجة مفلطحة أزال سدادتها وهو يقول :

«خذها وابدأ .. إنها ملآنة تقريباً».

« أنت الأول ياعم شااللاى » .

ولم يكن الكهل بحاجة لسؤاله مرتين ، وهم بها وهو يقول : براندى» .

وحين جرع ملء الفم ، مسح الفوهة ثم قدمها ..

وحين هم باسينت يتسلق العربة صاح قائلا :

«لا تقلق ياعم شااللاى ، سأعطى النقود لزوجة ابنك» .

ثم انطلقا .

إلا أن العم شااللاى صاح من الخلف العربة: «انتظر . انتظر» . وكانت الشهادة لا تزال فى يده « خذ هذه الورقة الكبيرة معك . انها تتسخ هنا ، واطلب من زوجة ابنى أن تضعها فى إطار» .

* * *

ابتعدت العربة حتى أصبح من العسير تبينها على حافة الا كمات . لكن شااللاى مازال واقفا على البعد يرسل الطرف خلف الزائرين . وكان الكلب قابعا بجوار البئر لا يسمع صوت العجوز . فخاطب بيروش قائلا :

«ليتنى كنت صغيراً مرة ثانية !» ..

# الرسالة

الكاتب : ايفان بولدبجار

ترجمة : سعد توفيق

كانت الطائرات تحلق هابطة فوق رؤوسنا ، ولا نسمع منها سوى أزيزها المعروف زووو زىىى .

وكان الجندى يانوش بونتو يهمس وهو فى مكانه من قاع الخندق :

ـــ أسامع أنت؟ لكأنها «دبور» . لا، بل هى أشبه بالسروت ولكن الاونباشى فربوناك استدار إليه غاضبا يقول :

ـــ ألن تلزم الصمت عن حشراتك الحقيرة هذه ؟ لماذا لا تمعن فى هرائك وتقارنها بجاموسة ؟ يبدو أنك لن تصمت إلا إذا سمعوا صوتك .

وازدادت الطائرة اقترابا منها فازداد كلاهما التصاقا بجدار



الخندق الذى يسمونه جحر الثعلب . فلو أنهما أطاعا ما لديهما من أوامر لأطلقا النار على الطائرة من بنادقهما الأوتوماتيكية .
ولزم بونتو الصمت منتظرا الأونباشى ليتكلم، ولكن الأونباشى كان واقفا فى مكانه صامتا مرتجفا ، فسرعان ما انتقلت العدوى إليه ، وشعر بالخوف يغمر قلبه وأرهف السمع فتبين أن أزيز الطائرة يتزايد خفوتا . ولا من أثر لصوت البنادق . فليس هناك من يطلق نيرانه على الطائرة . أخاف زملاؤه الرابضون فى الخنادق الأخرى ؟ ما أكثر ماحدثه الضباط والجاويش رابوشا أيضا حتى أيقن أنه الوحيد الذى يعرف طعم الخوف ، فخجل من خوفه وسارع بإخفائه ، كان يكره التحدث إلى الناس . فأبناء بودابست هؤلاء يهزأون به ويضحكون منه دائما .

لقد سأله الجاويش رابوشا عقب التحاقه بالفرقة قائلا :

— كيف وجدت طريقك إلى هنا أيها الفلاح الحقير.

وقال له فربوناك اللعين قبل أن يرقى إلى رتبة الأونباشى .

— أيها المنتن الرائحة . إننى واثق من أنك كنت تنام فى حظيرة الخيول .

فقال بونتو :— حسنا ، لاشك أنى لم أنم فى سرير مولاتى .

ولكنه تمنى فيما بعد لولم يقل ذلك . فقد طرحه فربوناك أرضا ، وقفز فوقه الجاويش رابوشا وفعل الأونباشى كوتشيش مثلهما . وقال له :

— كيف تجرؤ على التحدث إلى جاويش بهذه اللهجة ؟ ألم تتعلم

كيف تعامل الآخرين ؟ لاتخف ، فسوف نعلمك هنا . . أيها الفلاح القذر .

وتلفت حوله ، ولكنه أبصر الجميع يضحكون . وفيما بعد سأله رجل سمين قصير كان الجنود يتخذونه سخرية لهم :

ــ ألم تحضر للجاويش بطة محمرة ؟ أو رطلين من الزبد ؟ . لا طبعا . فأنتم أيها الفلاحون أغبياء حقا .

ثم انصرف عنه بعد أن قذف فى وجهه بهذه الكلمات . ولقد حاول بونتو مرةأو مرتين إفهامهم أن ما يترك لهم من نتاج الأرض لايفى بثمن الزبد . فما بالك ببطة محمرة ، ولكنه سرعان ما تعلم فائدة الصمت . فهؤلاء الناس كانوا لايدرون عن حياة الفلاحين شيئا . ورسخ فى أذهانهم أن الفلاحين يعيشون على دهن الأرض وسمنها . وعندما وضح الأمر لأعينهم ، لم يجيبوا إلا بقولهم :

ــ الفلاحون مساكين .

ما من أحد استمع له سوى إمر دانيش الذى هز رأسه فقط كأنه يقول : كم أعرف ذلك جيدا ولكن ، كم هو بحاجة إلى أن يعرف ؟ فهو نفسه قال أنه لم يطرق أبدا أية قرية من القرى ، وأنه لم يتعد طيلة حياته ضواحى بودابست ، وإنما هو قد تعداها الآن لأنهم اضطروه إلى ذلك . إن إمر دانيش يشتغل فى مصنع ولكنه لايحب الحديث عنه . وهناك من يهمس بأنه اختلف مع قائده فكان خلافه سببا فى إرساله إلى الجبهة الأمامية . وكان دانيش فى أوقات فراغه يذهب إلى الفرقة ٢٣ حيث يجد أصدقاء قليلين . ولقد حاول بونتو أن يحادثه ولكنه فى كل مرة كان

يدفع الثمن . لأن فربوناك إذا لمحه يحادث دانيش كان يعذبه أسبوعا بأكمله . فيقول فربوناك الذى كان يمتلك ورشة لبرادة المعادن فى شارع بنونيا :

— إننى عليم بهذا النوع . فكل منهما يلصق رأسه برأس الآخر . ويتهامس همساً تقصر دونه المحاضرات الطويلة ثم يطلبان زيادة الأجر . يجب أن يرسلا إلى معسكرات العمل ، وهناك يمكن استئصالهما . .

ولم يكن بونتو يدرك السبب فى وجوب وضع حد للمم دانيش ولكنه لم يقل شيئاً . فلقد لقن فى بيته أن الواجب يقضى بعدم الرد على رئيس الخدم والعمدة ، إن رئيس عمال المزرعة يجب السكوت أمامه أيضاً . فاسم الخادم هو : أسكت . وسيظل خادما ولو ارتدى الزى العسكرى ، أليس هو مراسلة الجاويش والأونباشى .

وعاد أزيز الطائرة يتضح ثانية . فقال للاونباشى :

— إن الآخرين لا يطلقون النار أيضاً .

— وما شأنك فى هذا ؟ تطلع برأسك وانظر ما يجرى بالخارج . وما إذا كانوا قادمين عبر الجليد .

فوضع الجندى بونتو خوذته الفولاذية ، وتطلع بعينيه إلى الخارج . فأبصر الطائرة تحلق فى خط مستقيم مع النهر .

ولو كانت الطائرة الروسية تبحث عن هدف لنيرانها ، لرأت فى الحال خوذته ذات اللون القاتم . ولكن لم يسمع لمدافعها صوت . وفجأة توقفت الطائرة ، على ارتفاع ٢٠٠ متر ، وفوق خندق

العم دانيش . فبرز بونتو من خندقه ووقف منتصبا . عجبا ، ماذا تفعل الطائرة؟ لكأن شيئا انساب من قاعها . إنه شيء أسود اللون . أتكون قد فقدت إحدى عجلاتها؟ لا ، ليس له شكل العجلة، ها قد أصبح قادراً الآن على رؤيته . إنه لفافة سوداء . وفى الحال كانت الطائرة تستدير قادمة فى اتجاههم . واستطاع بونتو بالكاد أن يلقى بنفسه على الجليد . وتطلع حذرا من تحت حافة خوذته . وفكر قائلا :

— حركة واحدة وسوف يدعوننى أحصل عليه .

وسمع أزيز الطائرة فوق رأسه عاليا صاخبا يملأ الفضاء .

وفكر فى نفسه ثانية .

ليذهبوا إلى الشيطان، سيجدوننى ميتا قبل أن ينفذوا ما يبغون

وبدا ذلك الشيء الأسود بعينه ، بأسفل الطائرة . ثم فتح وهبط مبعثراً إلى الأرض ودارت الطائرة دورة ثم غابت خلف الحدود الروسية .

وتابع الطائرة بنظره حتى لاحت أمام عينيه نقطة صغيرة سوداء فوق العالم الروسى الفسيح المدى . ورفع يانوش بونتو رأسه ، فلم يبصر نقطة واحدة سوداء بل مئات ، وكلها فوق خطوطهم . إنها اللفافة السوداء . إنها أوراق تهبط إلى الأرض مترنحة هادئة .

لم تكن الواحدة منها تزيد فى حجمها عن بطاقة البريد ، ولكنها بيضاء اللون ، وفى الجانب الأيسر منها صورة رأس رجل، وبجوارها نقش هذا النداء بحروف كبيرة « ياجنود المجرا »

— بونتو ، ليأخذك الشيطان . . .

فلم يعره بونتو التفاتا ، فهو لن يجرؤ على الخروج من جحر الثعلب ، واستمر يقرأ : « إن راكوشي يتحدث إليكم ! »

وكانت بقية الحديث مطبوعة بحروف أصغر حجما ، فعسر عليه أمر القراءة . ولكنه استمر يقرأ حتى هذه الفقرة : « إننى أتحدث اليكم حديث رجل قضى خمسة عشر عاما فى سجون طغاة المجر » وعندما سمع الأونباشي ينقب فى جحر الثعلب ، حاول أن يطوى البطاقة ولكن أصابعه المتصلبة بتأثير البرد لم تطاوعه . فوضعها بسرعة فى جيب معطفه العسكرى . ثم زحف عائداً إلى جحر الثعلب .

قال : لا شيء . لقد ذهبت الطائرة إلى مستقرها .

— أعادت الطائرة ؟ لماذا لم تطلق النار عليها ؟ ماذا تعنى بقولك أنها ذهبت ؟ ألا تعرف الأوامر التى لديك ؟

لقد تعلم بونتو مافيه الكفاية من الجندية فلم يجب .

— ها هو يحمل بندقيته الجميلة للزينة فقط . . مهلا ، مهلا ستدفع ثمن كل هذا .

فنزع بونتو خوذته الفولاذية . وتحسس جيب معطفه دون أن يظهر أنه تعمد ذلك . فأحدثت البطاقة صوتا واهنا ، وكأنها تطمئنه على وجودها . وجلس بونتو مسندا ظهره إلى الحائط ينتظر . هذه هى حال الحرب معه منذ أربعة أشهر . بحق الجحيم ما الداعى لوجودنا ها هنا ؟ لقد سأل نفسه هذا السؤال مرارا

وتكراراً. آه . لو وجد هنا إنسان يستطيع المرء أن يطرح أمامه نفس السؤال . لقد قال الضابط :

ـــ نحن هنا لندافع عن أرض آبائنا الطيبة .

فلم يستطع بونتو أن يفهم لقوله معنى . فهو يريد العودة إلى بيته . إن أمه الأرملة تفنى صحتها فى العمل الشاق وبنصف الأجر يجب ان تضع الفرس مهرا الآن . فمن يتولاها بعنايته؟ إن العمدة يعرف انها لا تثق فى احد بجوارها عدا يانوش بونتو . لقد حان أوان العودة إلى المنزل .

وأرتسى ، لم ترسل اليه خطابا منذ سبتمبر الماضى . وعد على اصابعه ، لقد مرت أربعة أشهر وأربعة أسابيع على إرساله آخر خطاب إلى الفتاة . لتنصرف عن الكتابة إليه إذا لم تواتها الرغبة ، فهذا شأنها ، ولكن يجب أن تخبره عن طريق أمه ، إذا كانت مقيمة على عهده أم لا . لأن هذا من شأنهما معا .

« أرتسى ياحبيبتى . ليس فى مقدورى أن أعدك بشىء . فأنا جندى ولم أعقد مع الرصاصة ميثاقا . عبثا أعدك بالا أواجه واحدة منها ، كما أنها لا تعد بشىء . لتنتظرى أوبتى إذا كنت تريدينى ، ويهفو قلبـــك إلى . لست أجهل أى أبناء الفلاحين يغازلك » .

لقد ظل هذا المخطوط بين أهله طبعاً ، وأراد أن يكتب ذلك أيضا ، ولكنه عدل عن ذلك . فقد يدفع به هذا القول إلى ساحة المحكمة العسكرية وعلى هذا فقد كتب مايلى :

« كيف يمكن لابن خادم أن ينافسه ؟ . »

ولم يرسل لها قبلاته لأنه لم يستطع أن يتبين ما إذا كان لا يزال يملك الحق فى أن يفعل ذلك .

ونهض فربوتاك على قدميه . ففزع بوتتو . حسنا ، هكذا كانت تجرى حياة الجندى . يقف المرء فى جحر الثعلب ، وهو على بعد مائة متر من الخطوط الروسية ، ويهان من أونباشيه ، ويلزم الصمت ، ولكن أفكاره تشرد أميالا بعيدة . إن الأفكار تشرد أميالا بعيدة . إن الأفكار تطير نحو الأهل والبيت والصحاب أسرع من الطائرات . هكذا كانت حال الجميع . فهؤلاء الفتيان أبناء بودابست المزهوون كالديكة كانوا فى نفس الحال . كانوا يجلسون هناك محلقين فى الفضاء ، ولكن الغضب يتملكهم إذا سألتهم قائلا :

— حسنا : أيها الشيوخ ، أكنتم تفكرون فى منازلكم ؟ كانوا يثيرون الضحك ، كان فيهم أصحاب المطاعم والجارسونات ، والصناع بل كان فيهم « الحلوانية » وحارسو المخازن وخليط شتى من الفلاحين ، فارقهم الشباب ، وإن يكن البعض منهم لا يزال يحتفظ بكرشه الناتىء ، وكانو يدعون « فتيان الكتيبة القدماء » وكان بعضهم من الهرم بحيث يصلح لأن يكون له أبا ، وبما كانوا يحتقرونه لأنه كان جافا لا يؤتى فائدته كعود أنبتته أرض غير طيبة ولأنه لا أولاد له . كانوا أكثر مهارة وعلما منه ويجيدون حرفة ولكنه إذا وجه إليهم هذه الأسئلة يضحكون منه ويدعونه فلاحا

وهو لقب لم يكن يحبه ، وكم سأل زملاءه هـذا السؤال ، فى مبدأ الأمر : لماذا أتوا بنا إلى هنا ؟ ولـكنه الآن لا يسأل غير نفسه. وكان ذلك مؤلما ، حتى أحاديثه مع المهرة (تسالو) فى الحظيرة كانت خيراً من هذا . عندما كان والده على قيد الحياة ، كان يجيبه على كل أسئلته . أو ما يعرف الإجابة عنها على الأقل ، فليس الأمر الخطير أن تظل بعض الأسئلة عالقة برأسه ، وكان والده يقول له بحنو :

— وهذا الأمر يجرى على هذا المنوال ، يابنى ، وذلك الأمر يسير على هذه الحال . أما سؤالك هذا فلا تمكننى الإجابة عليه .

بل كان يسر بعدم معرفته الإجابة ، ففى مشاركة أبيه له فى جهله الـكفاية — فكلاهما لم يزد نصيبهما من الدراسة عن ثلاث سنوات ، ولـكن ذات ربيع ، سعل والده حتى لفظ أنفاسه .

ومن وقتها ويانوش بوننو يهاب السؤال ويخشاه .

صاح فيه الأونباشى فربوناك :

— فيم تحدق هكذا كالأبله ؟

ثم أردف بلهجة التأكيد :

— إننى أتسلق خارجا لألقى نظرة على الخنادق الأخرى . فربما يكونون قد أطلقوا النار عليها .

فذكره هذا بالطائرة ، طائرة البطاقات . فلبث منتظرا حتى خرج الأومباشى من جحر الثعلب وأخرج البطاقة من جيب معطفه وشرع يقرأ بصوت عال ، فسهلت عليه القراءة . وقرأ الآتى :

أسمعتم أن الروس يريدون هزيمة المجر ؟ .. فسارع بونتو بوضع البطاقة جانبا ، ما السر فى ذلك ؟

لقد كانت تسأله نفس السؤال الذى وجهه إلى نفسه كثيرا . ونظر حوله ثم تطلع برأسه إلى الخارج ، فلم يجد أثرا لإنسان ، فعاد إلى استئناف قراءته . وأجابته البطاقة على سؤاله قائلة : لا ، إنكم لم تسمعوا ذلك أبداً .

فتوقف بونتو عن القراءة ، ونظر إلى طرف الورقة فرأى عينين تنظران إليه بثبات ، ولكنه لمح فيهما شيئا يشبه الابتسام فنظر ثانية إلى الإسم المطبوع تحتها فقرأ : إن ماتياش راكوشى يتحدث إليكم ! من ماتياش راكوشى هذا ؟ فهو لم يسمع بهذا الإسم من قبل ، إنه يقول أنه كان سجينا . فلماذا ؟ وأعاد قراءة فاتحة الرسالة : « لأنه كان عدوا للحرب وعدوا للذين يريدون دفع المجر إلى أتون الحرب » .

فهنأ بونتو نفسه على أنه لم يكتب مادار بخاطره ، فى خطابه إلى أرتسى فلا شك أن ابن الفلاح قد دبر أمر بقائه بين أهله ! لو أنه كتب ما عن له لقاده ذلك إلى الزنزانة يقضى بين جدرانها خمسة عشر يوما ، فمن الجائز أن يكون هذا المدعو راكوشى قد قضى فى السجن خمسة عشر عاما لأنه أتى شيئا من هذا القبيل ، لاشك أنه من ذلك النوع الذى يقول ما تضمره نفسه لعله كتب إبان الحرب العالمية الأولى ، ألا يقول فى هذه الرسالة : إنى أتحدث إليكم حديث

جندى من جنود الحرب الأولى يعرف بالخبرة والتجربة ما تجره الحرب من دمار وهلاك .

كان بونتو قد شعر منذ وقت قصير بالبرد يسرى فى أطرافه رغم احتمائه بخندقه ولكنه الآن قد حل أزرار سترته وياقته ، وعلق خوذته فى مكان من الخندق ليتمكن من سماع خطوات فربوناك فى عودته ، واستمر يتابع قراءته : «أتذكرون كم كافح شعب المجر الغزاة الألمـــان كفاح الأبطال المستبسلين بين نهرى الدانوب وألتيسا ؟ » إذن فهو يوجه الحديث إلى ! إلى شخصى مباشرة فأنا أعيش فى هذه المنطقة بالذات .

وفكر فى نفسه قائلا :

— لقد حارب الألمان شعب المجر بالسلاح وبالمؤامرة الوطنية أيضاً ، فهم قد ابتاعوا ضمائر أعيان المجر ، وأبرموا معهم اتفاقا وكمنوا خلف الستار تاركين الكونتات والبارونات يمتصون دماء الشعب المجرى ، وهذا هو الحادث اليوم .

وأرخى بونتو يده الممسكة بالبطاقة، هذا هو الحادث اليوم .. بالوضوح الأمر أمام ناظريه الآن .. إذن فهذا هو السبب فى أن الخادم لا يزال خادما والجندى لا يرقى إلى رتبة أعلى .. هذا هو السبب فى أنهم يلفظون أنفاسهم وتتحلل أجسادهم على شواطىء نهر الدون «نحن هنا لندافع عن أرض آبائنا الطيبة» كيف يجيبهم بعد الآن إذا عادوا الى قولهم هذا ثانية .

وعلى حين غرة اجتاحه شعور حاد بالخوف من عودة فربوناك

قبل أن يفرغ من قراءة الرسالة ، فأسرع يقرأ : « لقد اغتصب الألمان محاصيل السنوات الماضية ولم يتركوا شيئاً ، فقطارات البضائع التى لا حصر لها حملت إلى ألمانيا كل شيء أنتجته أرض المجر ، من حبوب ، وأصواف ، ولحوم ، ودهن . لقد أخذوا كل شيء وتركوا الشعب المجرى يقاسى مرارة الجوع فوق السهل الفسيح الخصيب . »

ثم فكر فى نفسه قائلا :

« إنه على حق » فقد كتبت أمه إليه تخبره أن القرية كلها خالية من أى شيء يسد الرمق . ولكن كيف عرف راكوشى هذا كله ؟ كيف عرف ما يجرى فى بلدته شولتازا ؟ لقد كشف لناظريه حقيقة الأمر بحيث أنه فهمه من الوهلة الأولى . واهتزت الخوذة. وعاد يقرأ : لا تجعلوا من جنود المجر ضحية على مذابح الأطماع الألمانية . ألحوا عليهم فى أن يسرحوكم إلى دياركم حالا. فارتجفت أصابعه بشر عظيم ، وأخفى الرسالة بنفس السرعة التى تشرد فيها أفكاره إلى موطنه .

وعاد فربوناك فتبددت أفكاره .

وفى عودتهما زحفا فى الثلج ما يقرب من أربعين كيلو مترا حتى غاب الشاطيء الآخر عن أنظارهما . ثم كان عليهما أن يقطعا زهاء الكيلو متر ونصف سـيراً على الأقدام . أكان ماتياش راكوشى رابضاً هناك فى ذلك السهل ؟ وأجهد بونتو ذهنه : يجوز أن يكون الأمر كذلك . فمن أين له باليقين التام . والأكثر

إحتمالا أن يكون هناك ، على الضفة الأخرى ، يتطلع من خلال منظاره ليرى ما إذا كانوا قد أوصلوا رسالته إلى وجهتها ، وما إذا كان صاحبها قد التقطها . ومن الجائز أنه كان يراقب جحر الثعلب الذى كان بداخله وأنه رآه وهو ينحنى ليلتقط الورقة . وتبادر إلى ذهنه أنه ولاشك قد رآه وهو يشرع فى قراءتها . وقد يكون منتظرا الآن ليرى ماسيفعله .

وذهب إلى المطبخ وعاد يحمل لفربوناك غذاءه . كان من حقه بحسب التعليمات أن يستريح ثمانى ساعات . وكان فربوناك مستلقيا وقد خلع حـــذاءه . ونظف بونتو المأوى . ثم رجاه مراسلة الضابط قائلا :

ـ إذهب يا أخى بدلا منى إلى الضابط متزولى واطلب منه أوراق اللعب الفرنسية ، فإن ضابطى وطالب الحربية يريدان أن يلعبا الورق . ولست بقادر على الذهاب ، فقد يحتاجون إلى فى أية دقيقة ، وأنت تعرف أن الضابط لا يكف عن طلب الشـاى الطازج .

فشق بونتو طريقه إلى الطرف الآخر من القرية حيث كان الضابط متزولى معسكراً ، على بعد ثلاثة كيلو مترات . ومن قمة أحد التلال تطلع بونتو صوب الشرق ، فلم يبصر ضوءا ولـكن تبادرت إلى ذهنه فـكرة طيبة. ترى أين يوجد ماتياش راكوشى؟ وأى نوع من الرجال هو ؟ . ياعجبا لو قابله . وقضى مهمته وعاد فى ميعاده ليقرأ أوامر اليوم . لقد دعاهم الأونباشى موتسولا

ليصطفوا طابوراً . ولاحظ بونتو نوعا من العصيان المكبوت . فالرجال لم يستجيبوا للأوامر ، كانوا واقفين جماعات يناقشون أمراً ما . فسأل بونتو الأونباشي فربوناك .

ماذا حدث ياحضرة الأونباشي ؟

ولكن الأونباشي أدار له ظهره ، ولم يجب .

فسأل تتشمش الذى كان يعدو ، أحمر الوجه ، بسبب صراخ موتوسولا :

ــ ماذا حدث ؟

فأجابه تتشمش :

ــ لقد اختطف دانيش

ــ اختطف ؟ من خطفه ؟

وبلغا الساحة ، فأبصروا الجنود وقد اصطفوا طابوراً . وقال تتشمش متجهما :

ــ أتسأل من اختطفه ؟ إنهم ملائكة السماء . إنه البوليس الحربى يا أبله . وصاح موتسولا : انتباه ! وقوف ! ثم دخل الضابط . منذ أن أصيب الضابط كوروندى بالبرد لم يخرج أبدا ليقرأ أوامر النهار . وكان الجميع متوجسين قلقا مما سيسمعونه .

قال الضابط :

ــ لقد وقعت فى كتيبتنا حادثة تثير الخجل . فواحد من الرجال ، ويدعى دانيش . .

وتوقف عن الكلام . فتقدم روبوزا لمساعدته قائلا :

ـــ إيمر دانيش .

ـــ أجل ، إيمر دانيش ، لقد قبض عليه لأنه أطلع زملاءه على منشورات شيوعية . وهذه المنشورات ألقاها الروس هذا الصباح . وقد قدم للمحاكمة العسكرية . وإننى اؤكد لكم أنهم لن يترددوا فى إنزال العقاب الرادع به .

لم يستطع بونتو منع نفسه عن تحسس الورقة فى جيبه . آه لو عثروا عليها معه . وأعار أذنا واحدة فقط لكلام الضابط عن الشيوعيين :

ها هو ذا الضابط يصيح :

أيها الفتيان ! يجب ان نرفع عن كتيبتنا هذا العار . لنذهب الليلة للقيام بعمليات استكشاف على الضفة الأخرى لنهر الدون .

كان الضابط يحثهم من داخل الدفء الواقى الذى ينبعث من معطف الفراء الذى يلبسه . بينما الجنود يرتجفون برداً ، وتصطك أسنانهم . وكان الطالب الحربى يؤيد قائده بالإشارات .

ثم قال :

ـــ وإننى لذاهب معكم يافتيان .

فصرخ الضابط :

ـــ سكوت . لايتحرك أحد . أيها الجبناء القذرون ! أيتها السراويل المبتلة . فى أية كتيبة ألمانية عندما يحدث ويطلب القائد متطوعين تتقدم الكتيبة كلها إليه !

فى هذه اللحظة تقدم الجندى يانوش بونتو إلى الأمام . وقال:

ـــ سيدى ، إنى طوع أمرك لمهمة الليلة .

فألق عليه الضابط نظرة متعجبة ثم التفت إلى التلميذ الحربى :

ـــ أينفع هذا يا جولا ؟

ـــ إنه ليس ذكيا جدا ، ولكنه خير من لاشىء .

فقد الضابط زمام أعصابه . وقال :

ـــ إذن سأختار بنفسى ثلاثة رجال : الأونباشى فارجا ، والجندى موريش وهوشهلتز ، فليبلغوا عن أنفسهم فى الساعة الثانية والعشرين . انتهينا !

كان بونتو قد قضى أربعة وعشرين ساعة فى جحر الثعلب . وكانت خدمته متصلة بحيث أنه لم يجد متسعا من الوقت يغير فيه جواربه . يجب أن يذهب ويعثر على ماتياش راكوشى ذاك . ويتجاذب معه أطراف الحديث . وتذكر الصورة المطبوعة على البطاقة . إنه لقوى ذلك الرجل الذى تسبب رسالة منه كل هذه المخاوف . وإنه لمن المفيد أن يتعرف إليه . فلديه الكثير من الأسئلة .

سيجلسان سويا فى جحر الثعلب ، وسيسأله أسئلة وسيشفى راكوشى غليله إلى المعرفة ، دون أن يضحك منه ، أجل ، سيجيب على أسئلته كلها سؤالا بعد سؤال ، فيجد واحدا لم يسبق له التعرف به يجيبه إجابة شافية .

ووصلوا جزيرة القط دون أن يلقوا فى طريقهم أية متاعب . واستراحوا برهة ثم جمعهم الطالب الحربى ثانية وأمرهم أن يزحفوا

وأن لا يطلقوا النار إلا إذا اكتشف أمرهم . وبالطلقات يجب أن يحطموا الشاطىء الروسى . حدث هذا عندما كان بونتو قد وطد العزم على تنفيذ ما يريد .

ولم يكن الشاطىء الروسى يبعد عنهم أكثر من ستين مترا من الطرف الآخر للجزيرة . فزحفوا منربثين فوق الجليد .

ولم يمكنهم أن يلمحوا الحد الذى ينتهى عنده أديم الجليد ، وتبدأ الأرض الصلبة المتجمدة . وفجأة شعروا بأنهم لم يعودوا يزحفون أفقيا بل بانحدار خفيف . وتوقفوا لاهثى الأنفاس . وكانت رئتا بونتو تصفران أثناء زحفه . كانت درجة الحرارة تبلغ العشرين تحت الصفر ، ولكنه كان يتصبب عرقا . وأقام الطالب الحربى نفسه على إحدى ركبتيه وأشار بإصبعه فى الاتجاه الذى يجب أن يتبعوه . فتبعه الثلاثة إلى اليسار ، فى اتجاه مضاد لمجرى النهر وجلس بونتو فترة قصيرة خلف كومة من الجليد، ثم نهض وشرع يعدو بكل قواه فى اتجاه اليمين .

وبلغ شاطىء الدون، ونزع قنبلته اليدوية وألقاها فى منتصف النهر . فسرى الانفجار مدة فى الليل البارد الأبيض .

وشرع يعدو صاعدا نحو الشاطىء . وسمع دوى الطلقات من هذا الشاطىء والشاطىء الآخر . ومرت رصاصة بجانب أذنه تماما . فألقى نفسه على الأرض وصاح : لا تطلقوا النار !

وبرز القمر . ولمحت عيناه دورية روسية على بعد عشرين مترا من مكانه . فنهض وأخذ يسير نحوهم . صاح ممسكا بالبطاقة فى يده ، كأنها درع يقيه شر الرصاص :

— لا تطلق النار يارا كوشى ، يا را كوشى .

كانوا يسيرون نحوه ، فرفع ذراعيه مسلما ، فأخذوا منه مسدسه الأوتوماتيكى وقنبلته اليدوية الباقية .

ولكنه لم يدعهم يأخذون منه الرسالة :

سأله واحد من الروسيين :

— شتو .

فأشار إلى البطاقة قائلا :

— را كوشى — دا دا ، إدى

فتبعهم ، ومن فوق أحد التلال أمكنه أن يلقى نظرة على نهر الدون ، فأبصر شرر النيران يتطاير من كلا الجانبين . وجذبه الروس أرضا . وجلسوا متلاصقين . فسأل واحدا منهم :

— أجبنى أين را كوشى ؟

فضحكوا منه . وقالوا : — دا ، دا .

وفى مراكز القيادة العليا قدموه للاستجواب . وقيدوا إسمه ، ووحدته . وأخبرهم كيف عثر على المنشور وكيف توسل حتى توصل إليهم . فهزوا يده وربتوا على كتفيه ، وأعطوه شيئا ليشربه وكان المشروب خفيفا كالماء ، ولم يستطع أن يفهم السبب فى أنهم قدموه إليه فى قدح جد صغير ، وأثار الشراب سعاله . فضحك كل هؤلاء ، حتى الضابط منهم . وشجعه المحقق قائلا :

— إشربه كله ، لاتخف .

لم يكن يانوش بونتو خائفا ، بل كان يضحك مثلهم . ولكنه

تذكر فجأة الغرض من مجيئه .

فسأل المحقق قائلا :

— أخبرني عن مكان راكوشي . فقد حضرت لأراه .

فنظروا إليه بعيون متسائلة :

— أتعرف راكوشي ؟ — لا أعرفه .

— هل أنت شيوعي ؟ فأضحكه هذا السؤال . وقال :

— لاشك أنني لا أعرف الشيوعية .

— إذن لماذ حضرت .

فقال بونتو وهو يريهم الرسالة : — بسبب هذه .

فأحنوا رؤوسهم ، وكان الواضح أنهم قد أدركوا سبب مجيئه . وأحس بونتو أنه يجب أن يزيد الأمر إيضاحا فقال :

— إنكم تعرفون . . . لم يحادثني أحد هكذا من قبل .

* * *

لقد سمعت هذه القصة من يانوش بونتو نفسه في مجلس ضم جمعاً من الفلاحين في شولتازا .

وكان قد تناول قدحا من الخمر المحلية الجيدة التي يزهو بها بونتو كثيرا ، ثم أراني المنشور . فقد كان لا يزال محتفظا به . قال :

— أنت تعرف أنني قابلت الرفيق راكوشي هناك بأسرع مما كنت أتصور ، بعد ستة أشهر من ذهابي إلى الروس ، وفي ثكنة كرسنوجوراك وقد ألقى علينا محاضرة عن حقيقة الموقف الحربي .

ثم ذهبت إليه وذكرت له اسمي . وتعارفنا . وسألني عما إذا كنت لا أزال أحتفظ بالمنشور .

وجلسنا جنبا لجنب . وأخبرته بكل شيء . وأعارنى أذنا واعية ولما أفرغت ما بنفسى قال :

ـــ لقد أحسنت صنعا بمجيئك إلى هنا وبحثك عنى، ياصديقى بونتو . لقد فعلت الصواب وها أنت ترى الآن أننا على حق . وعملك الآن هو أن تدرس كثيرا ، وتعى من المعلومات قدرا كبيرا .

وجلسنا فترة من الوقت متجاورين صامتين .

واستمر بونتو فى حديثه قائلا :

ـــ ومنذ ذلك الحين ، وأنا أقابل راكوشى كثيرا . وفى احتقال أول مايو لوحت بالمنشور أمام ناظريه وإنى لموقن من أنه رآنى ، وأنا بالطبع استمع لأحاديثه دائما . ولقد سمعته أيضا فى عام ١٩٤٨ . وفى اليوم العشرين من أغسطس كان قد مضى على عودتى مايزيد عن عام . وكنت أحاول تلمس السبل للخروج من الفقر الذى ألم بى . وكنت حائرا متضايقا، فسمعت حديثا للزميل راكوشى ألقاه فى كنشكميت عن الزراعة الجماعية ، والجمعيات التعاونية . فشعرت بنفس الشعور الذى حدث لى عام ١٩٤٣ ، عند نهر الدون : وهو أن ماتياش راكوشى يتحدث إلى ، إلى وحدى . فعرفت للمرة الثانية مايجب أن أفعله . وكانت النتيجة أن كونا جماعة « المحراث الجديد »

* * *

# درس للعم جوكزان

للكاتب : أرنو أوربانه

تعلم شاندور جوكزان رئيس المؤتمر التعاونى المنتجين من تجاربه قيمة صوامع علف الحيوان . وقد حدث فى شتاء إحدى السنين أن انضم للمؤتمر عدد من المزارعين الفرديين ، فزادت مساحة الأرض التى يملكها المؤتمر نتيجة لانضمامهم من ٦٠٠ فدان إلى ١٣٠٠ ، ولكنهم أضافوا إلى قطيعه حيواناتهم الهزيلة التى لم يتردد المؤتمر فى إقرار بيعها فورا . وكان هذا فى فصل الشتاء نفسه .

وهكذا وجد شاندور جوكزان نفسه يأخذ سبيله إلى السوق فى صحبة اثنين من زملائه المزارعين. وقال شاندور يحادث زميليه :

ـ كيف يمكننا أن نبيع هذه البهائم، وهى بما عليه من هزال. وكما لا يحتمل الرجل الضعيف الشراب ، كذلك لا تحتمل البهيمة الهزيلة السوق . فهيا يازميلى نفتح صوامع العلف ، ونغذيها قليلا



حتى تسمن وتنشط فنذهب بها إلى السوق بقلوب قوية .

واستطعمت البهائم الغذاء الجيد ، وهى التى عاشت على التبن المخلوط بالأعشاب فإذا بها تسمن ويتحسن حالها . وصار شعرها الخشن فى نعومة الحرير ، وكسا الشحم عظامها الناتئة التى تشبه علامات تحديدالمساحة ،وبالاختصار ما أن حل يوم سوقالقديس جرجس حتى كانت سمينة تسر أعين المزارعين .

وداعبه المتسوقون بسؤالهم :

ـــ هل تطعم قطيعك بالقمح المقدس ياعم جوكزان ؟

فأجابهم فى زهو وهو منتفخ الأوداج :

ـــ أجل . . أجل ولكنه ليس قمح موسى ، بل قمح الاتحاد التعاونى . . القمح الموجود فى صوامعنا بالذات .

والصفقة التى تبدأ بمثل هذه المداعبة التى تدل على الاستحسان لابدأن تنتهى بكسب عظيم. فلم يكديدق الجرس معلنا انتصار النهار حتى كان شاندور جوكزان يزر محفظته المصنوعة من الكتان ، تلك المحفظة العتيقة التى صاحبته فى اجتماعات المؤتمر ، وحملت له من أوراقه أنواعا شتى ، ولكن لم يسبق لها أن ذهبت إلى السوق ولم تقم بمثل المهمة التى أناطها بها اليوم والتى اختص بها دائما كيس نقوده الصغير .

ولم العجب به وكيس النقود لايمكنه أن يحمل أوراقا مالية قيمتها عدة آلاف الفورينت . وقد لا تصدقنى ولكن متاعب

العم شاندور بدأت منذ هذه اللحظة، إذ لم يكد يحكم زر محفظته حتى بادره أطول زميليه وهو ميخالى زيركوش :

ــ وأين كأس النبيذ حلاوة الصفقة ؟

لقد كان ميخالى زيركوش يمزح ، وهو الذى كان إلى عهد قريب مزارعا فرديا ولم ينضم للاتحاد التعاونى إلا أخيرا، ووكز زميله الثانى وهو يغمز له بعينه فى خبث ؛ ولكن لم يخطر على باله أن الرئيس سيهتز لسؤاله اهتزازا عنيفا ، إذ أن هذا السؤال مس موضعا حساسا فى نفسه ، فلم يستطع أن يخفى اضطرابه ، وأخذ يعبث بشاربه الأبيض كعادته دائما وهمس الرئيس الطويل القامة ذو المنكبين العريضين :

ــ اللعنة . . كأس النبيذ .

ولم يزد على ذلك حرفا ، بل أشار بيده إلى حانة الاتحاد ، كأنه يدعوهم إلى كأس النبيذ حلاوة الصفقة . والتفوا حول المائدة ورصت أمامهم الكؤوس وأضاف ميخالى زيركوش ماء الصودا إلى نبيذها الساخن ، وقال الرئيس :

ــ والآن تفضلوا يا زملائى ولا تنسوا أنى مضيفكم . . لأن النبيذ مقابل عملكم وليس حلاوة .

وسادهم الصمت وهم يأكلون لأن مجهود يومهم فتح شهيتهم. وتلا النبيذ الطعام والمضيف مصر على صمته حتى بعد الكأس الرابعة. فالضيفان يتحدثان عن رحلتهما الموفقة للسوق وشاندور جوكزان يرشف نبيذه ويقرع كأسه بكؤوسهم كما يحتمه واجبه كمضيف

ولكنه سادر فى صمته يحدق أمامه مستغرقاً فى أحلامه . .

ــ أوه . . كأس النبيذ . . كأس النبيذ . كم من السنين الكثيرة قد مضت واندثرت ، وعندما ينبثق نور الفجر وتبدأ قطرات الندى تجف على أعواد العشب وأوراق الزهور تتوقف قافلتهم أمام باب الخان . ويهتز زجاج الخان ويتثاءب الساقى وهو يصب لهم النبيذ فى حرص شديد كأن كل قطرة منه تساوى وزنها ذهبا . كان رائعا . . ذلك النبيذ خاصة عندما يتبعه اللحم والبصل الصغير وقطع الخبز الطازج . ثم السوق . أجل السوق وما يجرى فيه من مساومات وصفقات . . وكأس النبيذ . . الحلاوة الذى كان نصيب شاندور من الصفقة المربحة والأوراق المالية التى تزحم الجيب .

واستمر قرع الكؤوس . . . ثم تنبه شاندور جوكزان إلى نفسه يجمع شتاتها وأخجله ماهو عليه كأنما كان ينطق بأفكاره أمام زملائه فلاحى الأمس ، سيساورهما الشك عما يشغل بال الرئيس ، وهل هو آسف من أجل كأس النبيذ. هل سقاه أولئك البورجوازيون نبيذا ، كانوا يتصدقون عليه بقطرات ودافعهم إلى ذلك حرصهم على المظاهر . .

أما هو فيشقى ويدق عنقه ويغلى جلده فى سبيلهم . . . من يتمنى استعادة تلك الأيام البالية .

ونادى الساقى وعيناه مثبتتان على الأرض .

ــ أيها الساقى . . أيها الساقى . .

إنه غاضب من نفسه يوبخها للجمود الذى يشل حواسه ، وفى غضبه ألقى نقوده على المائدة بشدة كما لو كان يقتل ذبابة .

لا تحدث لسعة النحلة إلا خدشا بسيطا فى الجلد . ولكن فى بعض الأحيان يلتهب الخدش ويحتقن الجسد كله بحمى تعصف به عصفا . فماذا حدث لشاندور جوكزان ، لقد وبخ نفسه لضعفها وحاول عبثا أن يتخلص منا لأفكار التى تسلطت عليه ، وأرهق عقله وجسده فى العمل . ولكن صورة السوق أبت إلا أن تطارده وبالتدريج أخذ اليوم يهرب منه وسيطر عيله إحساس غريب بأنه قد فاتته أجمل وأهم تجربة فى حياة الإنسان .

— مرة . . مرة واحدة فقط . . سأجرب .

وهكذا أخذ الرئيس الذى لعبت بلبه الخمر يغرى نفسه . ثم عصر ذهنه بحثا عما يمكنه أن يبيعه . بقرة الأسرة الخاصة . . وما أغناه . إنها تدر فى اليوم ثلاثين رطلا من اللبن ثم كيف يخفى الأمر . . . وبماذا يفسر تصرفه حينما يعلم القاصى والدانى أنه قد حمل بقرته عربة النقل . . يقول إنه ملها أو أن لبن فرونيكا جف . . وهل مثل هـــذه التعلات لا تزعزع ثقة الأعضاء فى شاندور جوكزان . . ماذا إذن . . يا لحسن حظه . . كيف نسى الخنزيرين الرضيعين البريئين . .

وهكذا ما أن حل يوم الثلاثاء التالى حتى كان فى طريقه إلى السوق وفى مخلاته الخنزيران . وحرص على أن يحمل محفظة الرئاسة تحت إبطه لتكون فى نظر الأعضاء سترا لرحلته . لم يذهب

الرئيس إلى مقر إدارة المقاطعة إذ لم يكن مدعوا إلى مؤتمره وفى محفظته تحت إبطه بطاقة الدعوة التى لم يرها أحد، الرئيس مشغول بأمور رسمية فماذا تريدون أكثر من ذلك !

ولقد كان مشغولا حقا ولكن بأموره هو . وباع الخنزيرين بربح قدره ستة وخمسون فورينت واشترى بثمنها خنزيرين أصغرين وفى عملية البيع ظهرت مهارة ودهاء شاندور كأنه قضى حياته صبيا عند أشد تجار الخيول مكرا .

وحتى ذلك الوقت كان للرئيس ضمير ناصع البياض ، ولكن ما باله الآن يغط فى النوم كما لو كان ضمير المقامر الذى يلعب بآخر قرش فى جيبه وأطفاله يصرخون من الجوع !

بل نغالى إذا قلنا أن شعورا بالرضا تغلب على صاحبنا . . الرضا بعد عملية بارعة . . وهل ستة وخمسون فورينت شيء قليل . ألا تساوى حزمتين من المحصول . . بل هـذا ما يساويه ذكاء شاندور جوكزان الذى لمع فجأة .

فعلا . . إن فساد شاندور جوكزان لم يصل إلى نخاع عظامه ففى ضوضاء السوق غرق ضميره فى النوم ، أما فى القطار وخاصة عندما رأى من نافذته بيوت أعضاء الاتحاد بأسطحتها الحمراء كاد يجنه خجله وكمده . ومن يدرى العاقبة إن كان هناك من رآه أو سأله سائل عما أضاع فيه وقته الثمين . . آه لو حالفه الحظ مرة ثانية فلا يلحظه أحد وهو يتسلل إلى بيته ، إذن فلن يطأ أرض السوق ثانية .

وحل الثلاثاء التالى فإذا به فى السوق مرة أخرى ! ! مرت به أيام الأسبوع وهو يقتل نفسه فى العمل حتى يكفر عن جريمته الخفيه ضد جماعته ، فلم يكن يبرح مكتبه قبل انتصاف الليل ، ولا يكاد يبزغ الصبح حتى يكون فى الاسطبلات : ولم يكن يقوى على النظر إلى الخنازير الصغيرة بل إن معدته رفضت أن تهضم لحمها لأنه يذكره بخطيئته : ورغم كل ذلك ما واتاه فجر الثلاثاء حتى انجذب إلى حظيرتها وحشرها فى مخلاته وعلق ملحوظة كاذبة على باب مكتبه .

دعيت إلى إدارة المقاطعة وسأعود فى المساء .

إن حب المساومة والربح أنساه الشرف والواجب . . ومسئولياته .. وكل شيء .. ذاق طعم الكسب كما يجرى الكلام ويقول المثل . ذاق طعم الكسب بكميات تزيد من أسبوع لآخر.. تشبع به فلم يعد يهمه إن رآه أحد . كسب وخسر وباع أربعة أزواج من خنازيره وهو فى نشوته يستعجل مقدم الثلاثاء . . . يوم السوق .

مثل هذه الحالة لا يمكن أن تبقى طى الكتمان طويلا ، فقد يتصادف أن يتوجه زائر إلى مقر اجتماع مؤتمر المنتجين ويسأل عن الرئيس .. وأنا مديرة المزرعة المتحفظة بطبعها تنفجر ضاحكة.

— العم جوكزان . . لن تجده فى بيته يوم الثلاثاء ، إنه يحمل مخلاته وفيها رغبات إدارة المقاطعة وتعليماتها .

هل تكون الجماعة جماعة إن هى تركت أحد أفرادها وتتركه يتخبط فى سيره ويضل الطريق .

عاد جوكزان من رحلته الرابعة إلى « اجتماع المؤتمر » ومخلاته تتدلى من كتفه . وقال بستا جزاكو سكرتير اتحاد الشباب الديمقراطى طازملائه الذين يطلون معه سور الحديقة بلون أحمر جميل.

ـــ هل نستطيع أن نستمر فى غض نظرنا يازملاء، هلا نعيد هذا الكهل إلى صوابه بما هو أشد وقعا من الكلام .

ومر الأسبوع والشبان يتهامسون، فلما كان فجر الثلاثاء التالى تسرب بستا مع أربعة من صحابه والساعة الثالثة صباحا ، فوصلوا إلى الفناء الخلفى لبيت شاندور ومعهم سبت فيه خبز مغموس فى الخمر . وبعد أن أسكتوا الكلاب توجهوا إلى الحظيرة المبنية من الطوب . أحست بهم الخنازير الصغيرة فعلا صراخها ، ثم ساد الصمت حتى خيل للرجال الخمسة أنهم يسمعون وجيب قلوبهم ، والظلام يلفهم وبعد ربع ساعة علا همسهم كأنهم فى شجار .

ـــ لقد اخطأت فى الكتابة

ـــ كيف وأنا الأول فى الإملاء

فقاطعهم بستا :

ـــ كفى ، نحن هنا لنربى لا لنتعلم الإملاء أكتب كما تستطيع يا ميسكا ولكن أسرع .

فهم يسمعون السعال الصباحى الذى ينتاب جميع المدخنين ثم صرير الباب. من وقف على عتبة البيت وفى يده مصباح سوى شاندور جوكزان ؟ هاهو يرمش ويحملق عينيه ثم يتأمل نجوم

الفجر الباهتة ، ولكنه لا يلاحظ الأشباح التى تتوارى خلفه الحاجز الخشبي المواجه للحظيرة .

وتمتم شاندور جوكزان :

ــ الآن إلى العمل .

حتى كلامه صار مثل كلام السماسرة . وخطا نحو الحظيرة وفى إحدى يديه مصباحه وفى الأخرى حفنة من الشعير . وبدأ يغازل معشوقاته .

ــ تعالى . . قربى .

ثم وضع مصباحه على حمالة حتى لا تندفع الخنازير بعيدا عن فتحة المخلاة . وفجأة صرخ وهو يضع يده على قلبه المضطرب .

ــ آه ، آه

فقد رأى فى ضوء المصباح المتأرجح وبين الظلال الطويلة التى يلقيها على الأرض منظرا بشعا . . بركة من الدماء تغطى أديم الحظيرة .

القتلة . . السفلة .

صرخ من نار حزنه ثم جثا على ركبتيه وهو يفحص الأرض . وفى الصمت المطبق سمع صوت غطيط نائم .

بدأ يحسس فى أنحاء الحظيرة المظلمة فرأى كنزه الثمين ، قرة عين قلبه الجشع فغمره الفرح وامتلأت عيناه بالدموع وترددت أنفاسه فى صورة ثانية . وزحف فى هدوء نحو الخنازير النائمة وجذبها من آذانها ودعك أنفها وهو يناجيها ، ولكنها سادرة فى

نومها تشخر وأنفها ممـــدود إلى الأمام وأجسادها ميتة مثل قطع الخشب .

. . صدامها ؟

وأمسك شاندور جوكزان بالمصباح وبدأ يتشمم جو المكان ، فلا يمكن أن يخطىء أنفه رائحة الخمر التى تعبق بها الحظيرة .

ــ أسكروها . أعطوها خبزا مشبعا بالخمر

وكاد قلبه أن يتوقف، من شدة خوفه ، هل يمكنه أن يقبض على اللصوص متلبسين ، ثم خيل إليه ومصباحه فى يده يلقى ضوءه الخافت فى أرجاء الحظيرة أن السماء قد انهارت عليه والأرض مادت به ، يا للرهبة ويا للهول فالدم لا يغطى الأرض فقط ولكنه يكسو ظهر الخنزيرين .

ما هذا .. إنه ليس بدم . كتابة فى حروف كبيرة .. باللون الأحمر القانى .. لون طلاء سور الحديقة . وبدأ شاندور جوكزان يقرأ بشفاه مرتعشة .

رغبات

لماذا هذه الكلمة . . . ! مكتوبة على ظهر الخنزير . . وماذا على ظهر الآخر ؟

تعليمات

وشاندور جوكزان ينظر إلى الكلمتين ويعيد قراءتهما كأنه

يأكل حروفها واحداً بعد الآخر ، فلما أشرق فى ذهنه معناهما صرخ من غضبه وعاره .

— من فعل هذا؟ من جرؤ على أن يعمل هذا فى.. أنا الرئيس..

أجابه صوت خافت يغلب عليه الحزن لا السخرية .

— أنا .

صوت بيستا جزاكو الذى أردف موضحاً .

— حتى لا تتعب نفسك بعد اليوم ، حتى لا تثقل كاهلك التعليمات والرغبات أسبوعا بعد أسبوع .

وفى المساء بعد أن هدأ شاندور جوكزان واستعاد شجاعته ، ذهب من تلقاء نفسه ليواجه الأعضاء واعترف لهم بما أثقل ضميره رغم ألمه ، وقال يختم كلامه :

— ترون من هذا أيها الأعضاء الأعزاء صدق القائلين أن كل طريق تتشعب منه دروب كثيرة . فى حالتى بدأت من الطريق المستقيم ، طريق التعاون ثم انحرفت إلى مستنقع المضاربة . لقد أفادنى هذا الدرس .. درس الزميل بستا . وإن غفلت مرة عن نفسى فها هى الكتابة على ظهر الخنزيرين تذكرنى ولا تظنوا أنى سأزيلها .

* * *

# ناس بسطاء

فيرانس كارينثي

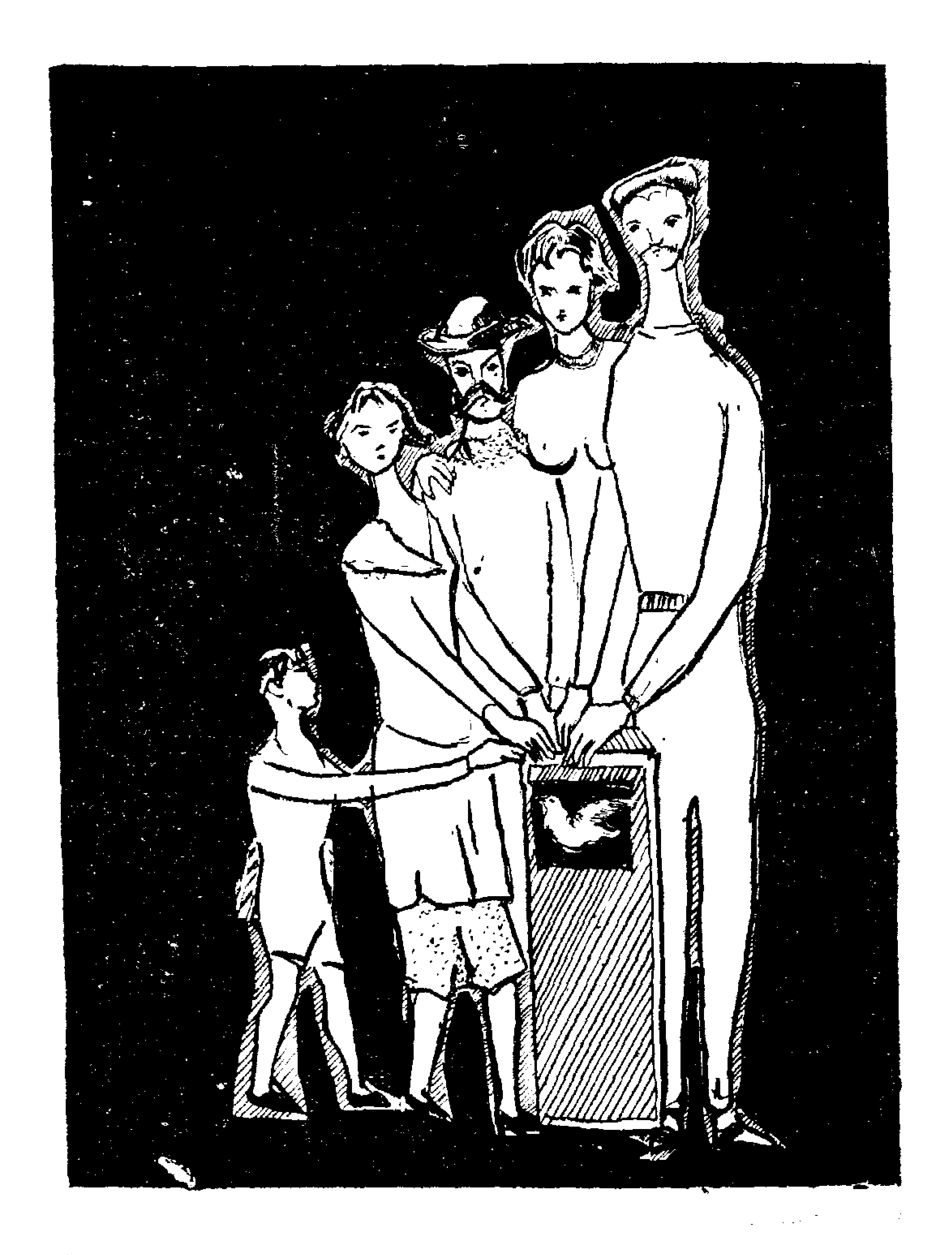
ترجمة : فؤاد مراد

أحب أن أقول هنا كيف ساورتني الفكرة في أن أكتب رواية عن حركة السلام المجرية ، واشتراك بسطاء الناس في هذه الحركة .

لقد خربت الحرب، التي كرهتها دائماً أبداً من صميم قلبي، حياتي كما خربت حياة الكثيرين غيري. لقد أهلكت من عائلتي الكثيرين وفقدت بسببها أصدقاء أعزاء . واضطرتني الى الاختباء طويلا وانتزعت مني حتى إسمي الذي حرمت من استعماله . وسأحتفظ طوال حياتي ، مثل الكثيرين من مواطني ، بذكرى هـذا اليوم الذي قابلت فيه على البلاط المشوه في الفناء الضيق من إحدى عمارات شارع « إيراني » أول الجنود السوفيت. « إني حر ، وقد ولد السلام » ، ذلك ما شعرت به في تلك اللحظة بقوة عارمة لن أنساها ما حييت .

لقد ولد السلام . . فاستولى على شعور دافق أخاذ تصاحبه سعادة هائلة . ولـكن لم تمض بضعة أسابيع حتى كنت قد اعتدت على ذلك الشعور ، ولم أعد أفكر فيه . وبزغت الحياة على البلاد بقوة هائلة ترد الموت والدمار إلى الماضى السحيق ، ولم يعد الرجال يفكرون إلا فى المستقبل، ومحوا من قلوبهم كلمة «الحرب» ولو استطاعوا لحذفوها من القاموس وبات من الطبيعى لدى ، ألا أرى بودابست تضرب بالقنابل، وألا أعيش فى أحد الأقبية فى مكان ما فنحن فى سلام لا فى حرب وتلك هى الحالة الطبيعية فى المجتمع الإنسانى . وعشت طوال سنوات فى تفاؤل وثقة . وقد سمعت أكثر من مرة بالطبع عن قيام حرب عالمية ثالثة ، لـكن هذا كان مجرد كلام . وكنت أرفض التفـكير فيه . وكنت لا أريد ولا أستطيع أن أصدقه .

ولا أستطيع أن أقول بالضبط أية حادثة وضعت حدا فى قلبي لهذه الثقة البلهاء ، بله الخطيرة التى تشبه عقلية النعام حين تخفى رأسها فى الرمال، وتظن أنه يكفى ألا ترى أحداً لكى لا يراها أحد. وقدسافرت كثيرا ورأيت كثيراً من البشر وقرأت الكتب والجرائد وشاهدت ليننجراد وقد أعيد بناؤها، وستالينغاروش . ولـكنى رأيت أيضا أنقاض «أوشفيتز» والبوارج الحربية الأمريكية الراسية فى ميناء البندقية مصوبة مدافعها إلى المدينة . كل هذا وكثير غيره ساهم فى استعادتى فى تلك الحالة «النفسية» ذات مساء وأنا عائد إلى منزلى بعد العمل لقد أحسست فجأة بهذا الشعور الذى ظننت أنى نسيته : لقد ولد السلام، فما أطيب أن يعيش الإنسان.



بريشة الفنان
إبراهيم مسعودة

نحن لا نفكر فى إنسان عيوننا إلا حين نهدد بفقده . السلام الذى كنت أظنه طبيعيا ومأمونا ، أصبح فجأة ومن جديد ثمينا ، لسبب غاية فى البساطة ، وهو أنى اضطررت أن أكتشف أن السلام فى خطر . كل هذا بالطبع لا يكفى لكى أؤلف رواية . وأنا أظن أنى لست وحيدا فى إدراكى هذه الحقائق بهذه الطريقة . لقد رأيت كثيرا من الناس هنا وهناك فى بلادى ، وأطلعنى أغلبهم على شعورهم المماثل لشعورى .

لقد قالوا لى كيف تحولوا وكيف أصبحوا لا يقدرون على الاكتفاء بحب السلام ، مدركين أنه يجب أن يذاد عن السلام . وفهمت أن كل رجل شريف سليم المدارك قد مر به ما مر بى ، أى ما كان لابد أن يمر بنا . وما دام الأمر كذلك ، وما دمنا بهذه الكثرة ، فمن الممكن بل من الواجب أن يقال هذا .

وبعد أن يجنح الكاتب إلى موضوع من المواضيع ، تصبح مهمته شيقة ، ولكن مجهدة . ويتلخص عمله حينئذ فى جمع ما يحصل عليه من معلومات وكان من الواجب على أن أعلم آراء الناس وأقوالهم فى الحرب والسلام ، وما يظنون أنه من واجبهم ، وما يستطيعون أن يقوموا به للدفاع عن السلام .

كنت أتردد فى العام الماضى كثيرا على إحدى قرى عمال المناجم بمقاطعة « بورشود » وكنت أنزل دائما عند أرملة طيبة عجوز . وكانت تعيش منفردة بعد أن مات زوجها عامل المناجم متأثرا بجرح أصيب به خلال الحرب العالمية الأولى . ويعيش

أبناؤها مبعثرين فى البلاد . والابن الوحيد الذى يسكن معها فى المنزل لا يوجه إليها الكلام أبدا منذ سنوات عدة ، لكى لا يضطر إلى مساعدة أمه العجوز الكسيحه. وهكذا تنقضى أيام هذه العجوز المسكينة التى لم يعد أمامها عمل تؤديه فى الحياة . فى غرفتها لوحات قديمة تافهة وبعض صور القديسين . وعلى إحدى الموائد صورة تمثل العجوز فرانسوا — جوزيف مستغرقا فى صلواته . وتحت الصورة بعض أبيات من الشعر الركيك إليك ترجمتها الموجزة: « أنت يا من يسبر أغوار الصدور... أنت تعلم أنى لم أرغب فى هذا الأمر ، لأن قلبى لا يخفق إلا من أجل شعوبى.. ياسيد السموات لا تتركنا، وقد إلى النصر جيوشنا الباسلة ».

وأردت أن أعلم سبب احتفاظها بهذه الصورة ، وقد أعلن فرانسوا — جوزيف حربا ذاقت البلاد الأهوال منها ، وتسببت فى موت زوجها ، فلم تحر جوابا ، وغمغمت ببضع كلمات معناها أنه يقال أن فرانسوا جوزيف لم يرغب فى الحرب وعند المساء كنا نتحدث فى شئون مختلفة ، فأقص عليها كيف أمضيت نهارى وما رأيته فى المنجم ، وما رأيته فى جميع الأمكنة التى ذهبت إليها . وعندما عدت إليها فى المرة الثالثة أو الرابعة لاحظت أن الصورة قد اختفت . لقد تردد على العجوز المسكينة رجال غيرى ، وزارها بعض موظفى الدعاية مرة أو مرتين وجرت حياتها كما كانت تجرى تقريبا . ولكن كل هذا كان كافيا لأن تنتهى هذه العجوز ، التى تقطن على بعد عشرين دقيقة من المنجم وثلاثة كيلو مترات من محطة حمامات « ليلا فيورد »

بدون أن تذهب إلى هـذه أو ذلك طوال حياتها ، إلى أن تمسك بالجريدة فى يدها وتبدأ بالإهتمام بما يحدث فى العالم .

وفى مساء يوم من أيام السبت ذهبت إلى السينما، وقد تـكون أول مرة فى حياتها . ثم سمعت أنها اكتتبت من معاشها المتواضع بـ ١٠٠ فورينت فى «قرض السلام» .

تلك نتيجة قد تبدو غير ذات بال . ولـكنه من الخطأ أن نهملها ، فمن مجموع هذه النتائج ، الصغيرة والـكبيرة ، تتألف فى النهاية هذه الحركة الوطنية الواسعة التى خفقت أعلامها عاليا تعلن إصرارها على الدفاع عن سلام وطننا .

وما علينا إلا أن نتصفح العرائض المغطاة بالتوقيعات ، وأن نستخرج منها ما يصادفنا . إن كلا من السبعة مليون توقيع يتحدث عن هذه الحركة الوطنية الـكبرى . والكلمة هـذه المرة ليست للاستخانوفيين ، أو العمال الفائزين بأوسمة العمل ، أو الحائزين على جائزة «كوشوت» ولـكن للناس البسطاء الذين نقابلهم كل يوم . وكل ورقة تقريبا مزدانة بالرسوم . فترى فيهـا الحمام وترى الرايات والنجوم وصور ستالين وراكوشى ومداخن المصانع والجرارات وسنابل القمح . والعاملون فى مصانع الصلب فى «سالجوتارجان» أحاطوا الأوراق المغطاة بالتوقيعات بغلاف جميل من الورق المقوى ، وأرسلوها إلى مجلس السلام الوطنى مربوطة بشريط مثلث الألوان . وكتب اسطفان فينسى بمواجهة إسمه «سأتم برنامجى السنوى فى يوم ٢٠ ديسمبر» إن هذه الكلمات

تدل على أن اسطفان فينسى قد أدرك — إن قليلا أو كثيرا — الدور الذى يجب أن ينهض به فى الكفاح من أجل السلام .
وكتبت مدام مارتون فولجيفارى : « سأتعلم » أنا لم أعرف طفولة مدام فولجيفارى، ولكن لى أن أظن أنه لم تسنح لها فرصة لكى تتعلم قط . فإذا هى تمسكت جديا بتعهدها ، وألزمت نفسها به ، فلن تخدم نفسها فحسب، بل قضية السلام أيضا .وقد اضطرت مدام اسطفان توت إلى أن تكتفى برسم صليب على الورقة لأنها لاتعرف الكتابة وقد كتب اسمها ، وتعهدها « سأدخر فى كل شىء » بيد غير يدها . إذن فلم تسنح لمدام اسطفان توت أبدا فرصة للتعليم . والأرجح أنها تخجل من كونها أمية ، وإن لم يكن هذا ذنبها دون شك . فاذا كانت أما لعائلة ، فهى ولاشك سعيدة لعلمها بأن الجامعات مفتوحة لأبنائها ، وإذا اجتهدت فى التفكير فى حياتها وحياة شباب اليوم ، فما عليها إلا أن تلحق بنا .

وقد تقرأ بين التعهدات كلمات مطلقة وجملا جوفاء ، أصحابها بالطبع من أنصار السلام ، ولكن اعتقادى أنهم لم يدركوا تماما ما فى مقدورهم أن يفعلوه من أجل السلام . لقد كتب ميهاى كرايتزى بالقرب من إسمه : «إنى أريد السلام» ولا شك أن هذه الرغبة صادقة ، ولكن عليه أن يدرك أنها لا تكفى . فثمة مئات من الملايين فى سنة ١٩١٤ وفى سنة ١٩٣٩ كانوا يريدون السلام ولكن الحرب نشبت . ولم تتمكن رغباتهم الصادقة من إنقاذ حياة إنسانية واحدة ، لأن حفنة من الأوغاد — بضع عشرات

أو بضع مئات على الأكثر من المجرمين الذين لهم مصلحة فى نشوب الحرب — كانوا أقوى منهم . وقد تذكر زوجة ميهاى كرايتزى هذه الفترة خيرا مما يفعل زوجها. ذلك ما يدل عليه تعهدها « إنى أهب عملى للسلام » فذلك خير من رغبة زوجها المخلصة ، وإن لم ترسم لتعهدها خطوطا دقيقة . فقد كان فى إمكانها إذا ما صرحت بكم وكيف العمل الذى تهبه للسلام ، أن تقدر قيمة الخدمة التى ستؤديها لقضية السلام . وهناك من يذكرون الحرب جليا ولن ينسوها أبدا . مثل يوجيف كوفاتز الذى كتب تحت إسمه : «لقد اقعدتنى الحرب عن العمل ١٠٠ ٪ إنى أوقع لأنى لا أريد أن يوجد بعد اليوم عجزة مثلى»

أما اصطفان ناجى أحد الفلاحين العاملين فى بلده «بيلينى» من أعمال «نوجراد» : فقد كتب : « لكى أدافع عن السلام خيرا مما فعلت حتى الآن ، أعلن انضمامى للمزرعة التعاونية » . لا شك فى أن اصطفان ناجى لم يستلهم قراره من رغبته فى الدفاع عن السلام وحدها . ولكن هذا لا أهمية له لأن تعهده واضح جلى . وأما شاندور كولار من نفس القرية فقد كتب مزهوا : « إنى كعامل فى مصنع أتعهد بأن أتفوق على برنامج عملى بنسبة ١٠٪ » .

وبعد فأكتفى بنقل ما كتبه بعض عمال المناجم فى «سومليا» : شاندور ناجى: «٢٠٠ كيلو من الفحم علاوة على برنامجى» أندرى ويكر: « بعد توزيع المفرقعات، سأذهب لمساعدة العتالين» اندراش زاجى: «لن تشكو فرقى بعد اليوم نقصا فى عربات الفحم الفارغة».

شاندور تيهانى : «لقد ولد إبنى الأول . . نحن نحبه كثيرا . . هناك مئات الملايين فى جميع البلاد يحبون أبناءهم وأوطانهم . . ذلك ما يجب أن يدركه الذين يريدون أن ينالوا من حياة أبنائنا ويحضرون للهجوم على أوطاننا . . لن نتراجع أبداً أمام تجار الموت الأدنياء الذين يعيثون فى الغرب فساداً .. نحن نريد السلام ونكافح من أجل السلام بكل وسيلة . . ليشهد توقيعى وإتقان عملى ، على أنى واحد من ملايين المكافحين من أجل السلام» .

وقد تعهد آنتول باب المدرس فى « سالجو تارجان » بما يلى : «سأغرس فى قلوب تلاميذى حبا لاعجا لوطنهم» إنه لتعهد رائع ، ولكن على آنتول باب أن يستقصى معنى هذا الحب اللاعج للوطن ، فالحب والبغض لا ينفيان بعضهما . ولكى يستطيع أن يقول آنتول باب وهو مرتاح الضمير أنه يفعل شيئاً من أجل السلام ، يجب عليه أيضاً أن يعلم تلاميذه كيف يبغضون أعنف البغض وأشده أولئك الذين يستعدون للإعتداء على وطننا . وكتبت جوليا بجليف ، بالقرب من توقيعها ، هذه الكلمات التى أصبحت لكثرة ما تتردد تحمل معـــنى رمزيا : « أتعهد بأن أزرع حديقتنا جيداً » .

* * *

لدى كل إمرىء شىء يقوله عن السلام : الشيوخ المقعدون والطليعة الصغار . كيف لا يملكنا التأثر ونحن نقرأ كلمات لاسلوبورشاك من « بيليني » : « الشيوخ يطالبون بالسلام ».

وتكتب مدام شاندور سيداى : « إنى عجوز ، ولكنى أريد السلام » .

وتقرأ رغبات الأطفال الصغار فإذا هى كالصدى لرغبات هؤلاء الشيوخ . وإن خطوطهم المتعرجة دليل على ذلك . وأصغرهم لم يعد يتذكر الإجرام الجنونى الذى دمر به الفاشيون المجر ولكنهم يريدون أن يقولوا كلمة ، وأن يقوموا بعمل من أجل السلام . يقول جيزا كاساش الذى يكثر من أخطاء الإملاء : « سأحسن من نتائجى السيئة فى نهاية العام » أما فيلوش بودافارى من مدرسة « بالياساليا » الابتدائية فلم يتقن بعد كتابة اسمه . وآخر حرف فيه ثلاث أضعاف الحرف الأول فى الحجم . ولكنه يعلم جيداً ما عليه أن يعمل . ولذلك تعهد فى سبيل السلام أن يحسن من خطه . وبعضهم مثل إيفا كيست يشعرونك — أو يشعرك خطهم على الأقل — بأنهم لم يعودوا تلاميذ . ولابد أن إيفا كيست من خيرة تلاميذ فصلها وقد كتبت بمواجهة إسمها بخط أنيق ، أنها ستهب للسلام شيئاً : « سأساعد فى الجغرافيا إحدى زميلاتى » .

كل يريد ان يعطى . . كل بحسب إمكانياته . الأقوياء يقدمون الشىء الكثير والضعاف يقدمون ما هو أقل. لقد فكر الأناس البسطاء شبابا وشيبا ، أمام أوراق التوقيع تفكيراً ملياً فيما يستطيعون أن يمنحوه فكتب الصغير اسطفان أورسوفاى : « سأجتهد فى الحساب » .

وليست هذه ، بالطبع ، غير عناصر ضئيلة جداً مما يجب أن يتوفر للكاتب من حقائق مستفيضة ليرسم صورة حركة السلام المجريه . والكفاح من أجل السلام يضم جميع المشاكل ، لأن مصائر أهل الأرض جميعاً تتوقف على هذا السؤال: هل ستنشب الحرب أم لا ؟

ولقد عرفت ، عندما كنت صبياً ، كاتباً مجرياً قال أكثر من مرة أنه قضى حياته يكافح ضد الحرب ، وأن كل كلمة كتبها إنما استهدف بها خدمة السلام . ولكنه لم ينجح ، رغم إرادته الطيبة ، فى تأخير الحرب أو فى إنقاذ حياة إنسانية واحدة . ومات هو خلال الحرب الثانية .

مات بعد أن شاهد انهيار مطامحه وآماله جميعاً . وقد كان من المحتوم أن تنهار لأنه كافح وحيداً . لقد كان دائماً وحيداً ، على الرغم من أن الملايين من الرجال فى جميع البلاد كانوا يشاطرونه آراءه . وقد كانوا كلهم وحيدين ، لأنهم لم ينجحوا فى أن يتحدوا .

فلو عاش هذا الكاتب حتى اليوم ، وأراد أن يكافح من أجل السلام لما عاش وحيداً ، لعضدته وناصرته مئات الملايين من الأناس البسطاء .

***

# مليم واحد

للكاتب: أندريه جاالبرى

ترجمة: عمر رشدى

حوالى الساعة السادسة مساء ، خرجت من مصنع الطوب النيء . ومررت بلسانى على شفتى الجافتين، واستخدمت أصابعى الخمسة كأنها مشط لإزالة تراب الطوب النيء من شعرى ، وإذ غادرت مأواى المجانى ، سلكت طريقى نحو باب المصنع الذى يؤدى إلى شارع فيينا . وبالقرب من المكان المخصص للميزان ، تبرز ماسورة ماء من الحائط ، انحنيت عليها بينما كان النصف الأعلى من جسمى عاديا تماما. وأضطررت للضحك عندما أحسست برعشة الماء وهو ينساب إلى داخل بنطلونى .

وما أن تجاوزت المصنع ، حتى جلست منتعشا على حافة الاخدود الذى امتد بطول الشارع وبدأ الماء القذر الذى يسيل متمهلا فى هذا الأخدود ، وكأنه أختلط بالزيت .

وأخذت الشمس تستدير شيئا فشيئا فوق منجم طمى الفخار

المحور فى الأرض ، وتلق ضوءها على كلاب المنجم المربوطه فى سلاسلها الحديدية وقلت لنفسى أننى أستطيع أن أتجه نحو الدانوب فى وقت آخر ، وإلى أن يحين ذلك فاننى سعيد جدا على حافة هذا الاخدود لأنه قد يحدث أن يطلب عمال من أجل منجم طمى الفخار. ولكى أقطع الوقت أخرجت من جيبى تعويذتى ، آخر «فيللير»(١) معى. وأمسكت به بين أصابعى ، ومضيت أحركه وأعيد تحريكه. وأطلت النظر إلى حافته المستديرة ، وتركته يتدحرج من قمة إصبعى ليستقر فى راحة يدى ... وإلى جانبى ، كانت ملقاة على الأرض نسخة من جريدة «آزايشت» ( المساء) ، شوهها كعب حذاء . وجذبت هذه النسخة بتكاسل وألقيت عليها نظرة من طرف عينى ، وقرأت : عاد . . ملك . . رومانيا . . ثم أمسكت ببضعة أعواد هزيلة من الثقاب ، لها رؤوس سوداء محترقة ، وألقيت نظرة ذات معنى على زهور الشيكوريا الصفراء .

كانت هناك ضفادع صغيرة تسبح تحت قدمى ، وهى تطوى بخراطيمها الدقيقة الماء طيا لا يكاد يلمس . وطارت الفراشات فجأة ، كأنما كانت الأعشاب نائمة واستيقظت .

وبحركة عابثة،أخذت أصابعى المجعدة تطوى الجريدة المشوهة لتجعل منها سفينة من الورق . توقفت أكثر من مرة ، كما لو كنت من صانعى السفن العريقين ، متسائلا كيف يمكن إخراج سفينة من هـذا الورق ؟ ثم طويت الصفحات ذات الحروف المبهمة ،

---

(١) عملة بحرية زهيدة جداً تساوى المليم فى مصر .

وأعدت طيها ، وأنزلت بارجتى ، على تمام الاستعداد ، بين الأعشاب . وقلت :

ــ أيها الفيللير الصغير الذى لا أمتلك سواه . سأضع لك عودين من الثقاب كساقين ، وطرف عود ثالث كرأس ذات شعر منكوش أسود محترق . وسوف أنتزع خيطا من سترتى ، وأربطك بهذا الحبل إلى شراع سفينتك المصنوع من الشيكوريا ، وكأنك « أوليس » جديد (١)

وأخيرا وجهت إليه الكلام كى أتخلص منه :

ــ إذهب يا صغيرى . . إذهب .

وها هو ذا السيد « الفيللير » ، وقد انتصب فوق الماء ، ونفخت الريح الشراع الأصفر ، وأخذت البارجة طريقها ببطء فى عرض البحر . . آه ، كان يجب على أن ألقى بنفسى فى أثره ، وأن أغوص مع كنزى الأخير فى الماء .

وفجأة اقشعر بدنى لأول عواء انبعث من المصنع ، وأخذت الكلاب تروح وتجىء فى الطريق المنبسط فوق رأسى : تلك التى لا تحمل شيئا ، تذهب إلى المنجم حاملة أشعة الشمس ، وتلك التى تعود منه تحمل طمى الفخار لتفرغه فى المعاصر . وعلت أصوات

---

(١) إشارة إلى اوليس احد ابطال حصار طروادة فى اسطورة الأوديسا الشهيرة ، عندما ربط نفسه إلى شراع السفينة وسد آذان رفاقه بالشمع حتى لايستهويهم غناء جنيات البحر فيلقوا حتفهم .



صما . إنه الديناميت ينفجر هنا وهناك . وتتهاوى جدران عالية من طمى الفخار ، مفتتة قطعا ضخمة .

وعبرت الأخدود بقفزة واحدة، وهرعت إلى مكتب المصنع. كنت أعرف جيداً ما هو مكتوب هناك ، ومع ذلك اقتربت حتى كدت التصق باللوح الزجاجى ، ونظرت فاغرا الفم إلى الإعلان الذى كتب بحروف كبيرة :

« لا توجد وظائف خالية اليوم »

وفى الحال، غاصت يداى داخل جيبى: حقا ... ما الداعى لأن أحركهما فأرهقهما؟ وكم كنت أود لو غاصت ساقى أيضا فى جيبى عملاق ، هما وحياتى اليائسة كلها . بل لكم وددت راضيا أن ألعق بلسانى بلاط مطبخ كامل فأنظفه ، لو عهد إلى بهذا العمل !

وخطر لى أن أدخل بالقوة فى أية ورشة، وأقف أمام منضدة النجارة ، وأمسك بالمبرد ، واشرع فى العمل . وإذا سألنى أحد مندهشاً ، أو إذا أراد أحد أن يطردنى خارجاً ، فسوف أدعى الصمم ، وأستمر فى العمل . سوف أواصل استخدام المبرد دون توقف حتى ساعة متأخرة من الليل . وسوف ينتهى الأمر بأن يعطونى شيئاً ما ، على الرغم من كل شىء .

وسرت ، وأنا أتأمل خيالى الهزيل . وأحسست أحيانا أن هناك عددا كبيرا من هذه الخيالات تصاحبنى يمينا ويسارا ، وأن الريح كانت تمسك بأحدها بين الحين والآخر فتلقى به إلى السحاب . وعندها كنت أقول لنفسى بعدم اكتراث : ها هو ذا خيال آخر قد مات .

ومضيت نحو المكان الذى علقت فيه الإعلانات الصغيرة لجريدة «فريش أيوشاج» (آخر الأخبار). كان الجسر خلفى، وكذلك كان القصر الملكى أيضاً. وأخذت أفكر: كم هو جميل أن أكون مصباحا فى القصر الملكى! أن أكون عرشا! أو . . . ولكن هذا مستحيل . . . أن أكون طباخا!

وبما أن فكرة طعام الإفطار قد استحضرتها نفسى هكذا دون قصد، شرعت فى انتزاع بضعة أوراق خضراء من تلك التى تزين شرفات المقاهى. كان من بينها أوراق طرية تذوب فى الفم، وكان من بينها أوراق أخرى جافة ذات طعم مر نوعا ما، وكان من بينها أوراق رقيقة لذيذة إلى حد ما. ولم أهتم بذلك كثيراً بل مضيت أنزعها ثم أبصقها، وأنا ألقى نظرات خاطفة نحو الزجاج الكثيف. وأبصرت بنفسى فى هذا الزجاج نحيلا جداً، أشبه ما أكون بحيوان قارض له رأس مجعدة.

وشعرت بانقباض فى صدرى، وأنا ألقى نظرة على عمال المحلات، وهم يتحركون بسرعة، وقد انهمكوا فى أعمالهم. وأنا لا تراودنى منذ خمسة شهور إلا كل هذه الأفكار السخيفة، بدلا من أن أعثر على عمل. لكم كنت أود راضياً أن أتأوه معانيا تحت وطأة حمل مهما بلغ ثقله . . لأن هذا الركود سوف ينتهى بى حتما إلى الجنون. وخطر لى أن أذهب فأستند إلى جزع شجرة وإذا سألنى أحد لماذا أظل هكذا منذ شهور، فسوف أهمس قائلا: إننى فى انتظار أن أنبت مثل هذه الشجرة.

كم هو فظيع أن يقفز الإنسان هكذا من فكرة إلى أخرى.

ولكن ماذا أصنع ؟ لو أنني وضعت حداً لهذا السيرك الداخلي ولو أنني أطفأت فيه هذه المصابيح الغريبة الصفراء ، فلن يتبقى لى سوى نهر الدانوب ، أو الغصن اليابس فى شجرة من أشجار غابة الوادى اليانع .

وها أنذا ، وقدبرح بى الإرهاق ، أستند إلى الحائط وأفحص إعلانات جريدة فريش أيوشاج. ومن حين لآخر ، يكزنى الناس بأكواعهم وأرد عليهم بالمثل محتفظاً بمكانى المريح . وأخيراً ، استسلمت ، وبحركة يائسة من يدى تحولت عن الإعلانات وبصقت على الأرض ، وقد بلغ بى الضيق مبلغا كبيراً. وأعدت البصق مرتين .

وما أن فعلت ذلك حتى تسمرت فى مكانى، أنظر إلى الضوضاء، لا أدرى ماذا أصنع .

وأبصرتنى أرتعش ورأيت رجلا قزما أقصر قامة منى بكثير، أسمر الوجه، يمسك بتلابيبى.

وقال لى بلهجة بالغة الجد .

ــ هيا ... أبصق أيضاً ...

ولم أشأ أن لا أجيب رغبته، فبصقت .

وسألنى وقد أومأ بعينيه اللتين تشبهان عين القط :

ــ لماذا تبصق بصاقا أخضر ؟

وربت على رأسى بيدى، وأنا أجيب .

ــ أخضر ؟ حقا ! لأنى رعيت أعشاب الشرفات .

قال القزم، وهو يرسم دائرة سحرية بيده ، ثم يبصق :

ـــ أنظر يا زميلى ...

وأضاف وهو ينطق بتعاويذه ...

فسألته وأنا أبتسم ابتسامة ساخرة

ـــ وأنت لماذا تبصق بصاقا أصفر إذن ؟

ورفع كتفيه قائلا :

ـــ حدارجه بدارجه . . . لأنى أمضغ القشر .

قلت متنهداً .

ـــ هيه...أنت بدون عمل؟

ـــ إننى بدون عمل منذ زمن طويل . وأنت منذ متى أنت عاطل ؟

قلت :

ـــ منذ زمن طويل . . لو أن الحكومة تسقط على الأقل .

أجاب متمتما .

ـــ أو ، لو استطاع الإنسان على الأقل أن يعثر فى الطريق على أعقاب سجائر أكثر طولا .

وسألته :

ـــ يبدو لى أن مهاجمة بنك فكرة لا بأس بها .

ـــ مجهود ضائع ، سوف يقبض علينا فى الحال .

ـــ بالتأكيد . إن رجال البوليس أكثر من الذباب .

وأضفت، وابتدأت أحدثه بلهجة ودية أكثر .

ـــ بمناسبة الحديث عن الذباب . توجد ذبابة فوق أذنك .

أجاب :

ـــ وتوجد ذبابة أيضا على أنفك .

وأصبحنا صديقين، ومضينا نقطع الطرقات جنبا إلى جنب . ومن وقت لآخر ، كان ينحني ليلتقط عقب سيجارة . أما أنا فكنت أود بصفة خاصة أن أجد فى عرض الطريق تذكرة من تذاكر الترام لاتزال صالحة للاستعمال فألقى بنفسى على مقعد من مقاعد الترام وأقوم بزيارة معامل البيرة فى الطرف الآخر من المدينة .

سألني فجأة :

— ألا توجد معك نقود ؟

— نعم ، معى فيللر .

صاح متسائلا :

— أين هو ؟

— لقد صنعت سفينة صغيرة وعينته قبطانا وأقمت له ساقين بعودين من أعواد الثقاب وأقمت له رأسا بطرف عود ثقاب . وجعلت من زهور الشيكوريا شراعا .

وأعاد سؤاله مرة ثانية فى إصرار :

— لكن أين هو؟ قل لى أين هو لأننى أنا أيضا أملك فيلليرا وأستطيع أن أشترى سيجارة كاملة بفيلليرين .

وأجبته بلهجة الراوى .

— فى شارع فيينا . . بعيداً من هنا . إنه يسبح فى أخدود من الماء إذا لم يكن قد غرق بعد .

— تقول شارع فيينا ؟ أخدود مصنع الطوب النىء ؟

وأطلقت هاتين الكلمتين بحركة ازدراء بدت على وجهى

— ولكن نعم .

ثم اختفت

ــ ولكن ليس فى هذا ما يدعو للغضب ؟

أجاب ثائرا :

ــ أيها الغبى ... سوف أذهب إلى هناك فى الحال. . . وإذا وجدته فسوف أستطيع أن اشترى لنفسى سيجارة كاملة .

وها أنذا وحيد من جديد. لقد رحل الصغير ميشيل (هكذا كان إسمه ) إلى شارع فيينا لكى يعثر على الفيللير . لقد قال : « من يدرى ربما وفقت إلى شىء هناك » ثم رحل. ليكن ما يكون وهذا أحسن على كل حال .. إن ما قاله عن البصاق لم يخل من معنى لكنه على الرغم من كل شىء فظ إلى حد ما وربما افترسنى بدون رحمة .

وألقيت بنفسى على مقعد علاه التراب . واسترحت فوقه قرابة الفترة التى تتخلل دقتين من دقات ناقوس ثم نقشت عليه بأعواد الثقاب : لقد جلس ا . ج . هنا يوم ٤ يوليو سنة١٩٣٠

ولو أنى كتبت خطاب الوداع فوق هذا المقعد ماذا سيحدث له ؟ هل ستذروه الرياح ؟ أم سيأتى رجل آخر فيجلس عليه .

إنها ساعة الظهر وعدت إلى نهب شرفات المقاهى . ولكنى كنت ألقى بالا ، من الآن فصاعدا إلى كرات اللعاب التى أبصقها. إنها خضراء ... ورفعت عينى إلى الله وسألته متأوها .

ــ متى يا ربى أستطيع أن أبصق فى نهاية الأمر فى لون الجامبون ... بلون الكريمة .

أسطورة شعبية مجرية :

# حوذيان ونبيلان

للكاتب : جيولا ايلليش

ترجمة : عمر رشدى

يحكى أنه كان هناك حوذيان يعملان لدى نبيلين شرسين. وكان الحوذيان يمقتان سيديهما ، لسوء معاملتهما لهما . ومع ذلك لم يكن فى استطاعتهما أن يعاملاهما بالمثل خوفا من السجن .

و تقابل الحوذيان ذات يوم ، وشكا كل منهما للآخر معاملة سيده اللعين . وقال أحدهما للآخر .

— إن سيدى يسيء معاملتى .

فأجابه الثانى مؤمنا على قوله :

أما أنا فمن الخير أن لا أتحدث عن سوء معاملة سيدى لى . ولكن ، أصغ لى . لدى فكرة طيبة : لنضربهما : أنت تضرب سيدى، وأنا أضرب سيدك. لأنه لو ضرب كل منا سيده فسوف يلقى بنا فى السجن. وإليك فكرتى: تتلاقى عربتانا فى الطريق ، فلا تترك لى مجالا للمرور، وسوف أسلك نفس الوسيلة. وعندما نصبح وجها



لوجه . عليك أن تنهال على سيدى بالكرباج أما أنا فسأتكفل بسيدك . وهكذا لن يترتب على تصرفاتنا أى أذى يلحق بنا .

وهكذا نفذا بالفعل ما اعتزماه . وعندما تلاقيا ذات يوم فى الطريق قاد كل منهما عربته شامخا بأنفه ولم يشأ أحدهما أن يدع للآخر مجالا للمرور . وتصادف أن كان النبيلان على خلاف وبمجرد أن تصادمت العربتان إنهال أحد الحوذيين بضربة من كرباجه على سيد الآخر وما لبث الحوذى الثانى أن أشبع سيد الحوذى الأول ضربا بكرباجه وهو يقول :

ـــ مادمت تضرب سيدى فسوف أضرب سيدك .

وهكذا ضرب الحوذيان النبيلين ضربا مبرحا حتى أشبعا غلتهما . ثم سمح كل منهما للآخر بالمرور .

وبعد أن قطع أحد الحوذيين بعض الطريق ، سأله النبيل .

ـــ حدثنى يا هذا أيكما كان ضربه أشد ؟

ـــ ما من شك ياسيدى أن ضرباتى كانت أشد .

ـــ حسنا . . أنت تستحق بقشيشا .

ومن جهة أخرى كان النبيل الآخر يسأل حوذيه أيضاً .

ـــ لعل ضرباتك كانت أشد ؟

ـــ ما من شك ياسيدى أن ضرباتى كانت أشد .

ـــ حسنا . . أنت تستحق بقشيشاً مجزيا .

ومنحه هو أيضا نقوداً .

وعندما تقابل الحوذيان بعد ذلك تبادلا الحديث قائلين

ـــ لم يتلق سيدانا درسا قاسيا فحسب ولكنهما دفعا ثمنه غالياً .

# الميراث

للكاتب : توماس أوستيل

الحائز على جائزة ستالين سنة ١٩٥٢

ترجمة : عمر رشدى

لم يحمل لنا هذا الميراث شيئا كبيرا . وعندما وصل إلينا الإخطار ، كانت بولا مريضة ، ولم أكن أنا قد عدت إلى المنزل . وسلم ساعى البريد الخطاب إلى بولا ، وهو يومىء بعينيه إيماءة خبيثة . وقفزت بولا من السرير الذى كانت متدثرة فيه، وملابسها غير مرتبة، وشعرها منكوش غير مسرح و تقاطيع وجهها متعبة. وأخذت الخطاب بسحنة مقطبة ، وأتخيلها وقد أطلقت بضع لعنات أيضا خلال غضبها لإقلاق راحتها . كانت درجة حرارتها مرتفعة وكانت تسعل . وألقت بنفسها فى فراشها الحقير بحركة سريعة ، ونامت من جديد . إن الخطاب لايهمها .

وبعد ست ساعات على أقل تقدير عدت من المصنع ، الذى

كنا نصنع فيه إسطوانات خراطيش البنادق . لقد تفرقت النساء بسرعة فى جميع الاتجاهات ، أما أنا فقد ظللت فترة من الزمن أحاول رتق الجزء الأسفل الممزق من ردائى . لقد كان مساء مظلما باردا ، ولكن حالتى النفسية لم تكن سيئة . ومن ثم كنت أصفر فى الشارع تصفيراً ضعيفا مخافة أن يقبض على كفتاة سيئة الخلق . كانت أمى تقول لى قديما أن التصفير فى الشارع نقص فى التربية . وظلت هذه الملاحظة ماثلة دائما فى ذاكرتى . لكننى كنت فى حالة نفسية طيبة . إن يوم السبت وهو يوم الراحة ، قريب جدا . ولم أكن جائعة أيضا . ولم يكن هناك شخص ما فى الشارع . كان النور الباهت يزعج عينى فى أول الأمر ، ولكن ما أن اعتدت عليه حتى قرت به عيناى وأحسست بحرارة لذيذة تسرى فى جسدى . وخطر لى يوم الأحد والخروج فيه للذهاب إلى السينما .

هكذا وصلت إلى المنزل وأنا أدندن، ولم أتذكر مرض بولا إلا وأنا أصعد درجات السلم كانت بولا شقيقتى ، وكنا نعيش معا فى غرفة صغيره واحدة . ولم يكن لدينا أثاث تقريبا . لاشىء إلا ما هو ضرورى جدا والذى أفلت بهذه الصفة من البيع . كنت أشتغل، ولقد اشتغلت بولا لفترة معينة من الزمن ولكنها بعد ذلك بدأت تسعل، وكفت عن العمل . ولم يحدث هذا فى فترة وجيزة . بالعكس لقد استمر السعال شهورا طويلة ، دون أن تشعر به ، حتى أننا لم نتبين خطورة الحالة ، عندما لازمت بولا الفراش فى الأسبوع الماضى . وإلى جانب هذا فإن المرض قد تغلغل



ببراعة فى الغرفة منذ مدة طويلة ، حتى أنه لم يكن جديدا علينا عندما لحناه . وعندما أعود هكذا ، ينتابنى دائما خوف من مجرد التفكير فى أنه قد يحدث شىء ما لبولا . وفى أحد الأيام ، هز الطبيب رأسه طويلا ، وكتب فى تذكرته الطبية إسم دواء مفيد جدا . ولكنه كان غالياً جداً إلى حد أننا لم نستطع شراءه .

ولقد قلت لفيرى الذى يقوم الآن بمغازلتى ، أن يحاول الحصول على الدواء من مصنعه ، ولكنه لم يرد . وعلى ذلك ، قلت له رأيى فى عواطفه . وصمت فيرى ، وقضينا ليلة سيئة ، والدواء غير موجود دائما . وهكذا استيقظت بولا ونامت ذلك اليوم والأيام التالية معتمدة على الأسبيرين . قلنا للطبيب ، هذا مستحيل ، ولكنه هو أيضا لا يستطيع أن يفعل شيئا . وفيما يتعلق بى ، لم يكن لدى شىء أبيعه ولقد انخفض مرتبى ، لأنهم أنقصوا أجر العمل بالقطعة ، وما ذلك إلا لأن إحدى المغفلات اشتغلت بسرعة كبيرة جدا . وفى ذلك اليوم كنت لا أزال دون نقود ، ولم أكن أعرف من أين آتى بنقود أتعشى بها ، ولا ماذا سأعطيه لشقيقتى المريضة ولكن كل هذا لم يبد لى فى ذلك المساء ميئساً إلى حد كبير ، وواصلت دون أدنى اضطراب دندنة خليط من الأغانى المعروفة فى ذلك الوقت وتعرقل المفتاح بعض الشىء فى كالون الباب ، فثارت أعصابى ، وألقيت معطفى بسرعة على كرسى المدخل .

كانت هناك ثلاث غرف أخرى تفتح على هذا المدخل ، لكننى كنت أجهل من يقيم فيها ، لأننا نحن نفسينا لم نأت إلى

هنا إلا منذ أسبوعين. كنا نقيم ، أنا وبولا ، فى حجرة الخادمة . كانت غرفة صغيرة ضيقة ، ولم تكن تتسع إلا للسرير الذى كنا ننام فيه نحن الإثنتين . ومع ذلك، فقد كان هذا شيئا حسنا، عندما أفكر أننا اضطررنا قبل أن نجىء إلى هنا، أن ننام لمدة أسبوعين فى الأرض الفضاء المجاورة . وكان البرد وقتها قد حل ، إذ كنا فى منتصف أكتوبر .

وكانت بولا نائمة . ولكى لا أزعجها ، جلست على الكرسى ، دون أن أحدث ضوضاء . وإذا بى ألمح فجأة الخطاب على المنضدة الصغيرة . وفحصته مدة قصيرة ، وأنا أسأل نفسى عما تضمنه . إنه مرسل باسم بولا ، ولكن لم يكن هناك سر تخفيه إحدانا عن الأخرى . ولذلك فضضت الخطاب . ويخيل إلى أنى صحت إذ ذاك صيحة، لأن بولا تمتمت «لماذا لا يمكن للإنسان أن ينعم بالهدوء؟» ولكنى عندما أريتها الخطاب ، نهضت بدورها فى السرير . إن الخطاب يقول أننا ورثنا .

وهكذا ، فإن الأمر كان بسيطا جدا ، ولكننا لم نستطع إذ ذاك أن نمسك زمام نفسينا من الفرح. وفى مخيلتنا ، فإن الميراث يمثل ملايينا ، وفكرنا فى أول الأمر أننا نستطيع أن ننتقل فى الحال إلى أفخم فنادق المدينة، حيث سينحنى البواب حتى الأرض أمامنا . وقرأنا الخطاب مرة ثانية بتمعن حتى نهايته ، ونحن ننطق الكلمات بصوت عال ، إلى أن توصلنا إلى فهمه حقيقيا فى آخر الأمر .

كنا قد سمعنا فى طفولتنا كلاما عن تلك العمة تيكا ، وكل

ما عرفناه عنها ، أنها كانت غنية جدا ، وأنها كانت تملك أرضا فى مكان ما فى آلفولد كانت عمة لأمنا، وكانت ماما تأمل أن تموت هذه العمه قريبا ، وأن نستطيع نحن الإقامة فى أراضيها لزراعتها. وفى ذلك الوقت ، كان هذا الأمل يخيفنا لأننا لم نكن نريد أن نغادر بودابست . ولكن لم يكن هناك من داع للخوف، لأن العمة أثبتت أنها صلبة بدرجة غير عادية . وماتت ماما أثناء ذلك . وصرع أوتوبيس شقيقنا فريدى وظللنا وحدنا ، بولا وأنا . لم نكن نعتمد على هذه العمة ، وكانت قد ماتت بالنسبة إلينا . لقد نسيناها . لا بد أنه قد مضت حوالى خمس عشرة سنة ، على ما أعتقد ، عندما ذهب المسكين فريدى فى الأجازة لدى العمة تيكا . ولقد روى إذ ذاك كثيرا من الأشياء عن آلفولد . وعن البط والدجاج . وبصفة خاصة عن الطريقة التى تشوى أو تسلق بها هذه الطيور ، ومن الواجب أن نقول أن بابا لم يكن له عمل فى ذلك الوقت ، وأننا كنا جائعين ، ولذلك كنا نتحدث عن هذا المسكين فريدى . إن هذا الشاب له حظ عجيب إذ استطاع أن يذهب لدى العمة تيكا ليملأ بطنه هكذا .

عادت جميع هذه الأشياء إلى ذاكرتى فى غمضة عين ، عندما شاهدت الخطاب الذى يتحدث عن موت العمة تيكا . وكانت بولا متكئة فى السرير على كوعها تسعل . وفى الحال تذكرت الدواء ، ولكن لم أتحدث عنه، حتى لا أنبه شقيقتى إلى مرضها. إن الخطاب يقول أن العمة تيكا قد ماتت وتركت لنا ميراثا، وضع فى طرد وأرسل بعنواننا ، وأننا نستطيع أن نستلم هذا الطرد

من البريد . حتما ، لابد أن البطاقة قد وصلت .

قالت بولا :

— لا . . . لم تصل بعد .

ولم نستطع حتى ذلك الوقت أن نتخيل كنه هذا الميراث الذى يرسل إلينا فى طرد . وكانت بولا أول من تبينت الحقيقة الأليمة ، وتنهدت قائلة : « لا يمكن أن يكون هذا الميراث نقودا . . هذا مؤكد ، نعم هذا مؤكد ، ومخيب للآمال إلى حد ما . وعندئذ أظلمت قليلا فى عينى صورة فندق الدرجة الأولى ، وبدت لى صورة ساق الخنزير ، فبلعت لعابى ، لأننى بدأت أشعر بجوع شديد . وأخذت بولا فى السعال بشدة ، ونهضت لأعد لها شايا ، وأشارت إلى بما معناه أن لافائدة من ذلك ، ثم نامت مرة ثانية ، وهى صفراء كالشمع . إننى أعرف أنها لم تأكل شيئا طوال اليوم ، وسألتها إذا لم تكن جائعة ، وتمتمت أن لا . بالتأكيد لم يكن هذا جوابا مطمئنا ، ولكن على كل حال ، فإن شهية بولا للطعام قليلة جدا ، وإلى جانب هذا فأنا أيضا لا أحب الشاى المر ولذلك عدلت أنا أيضا عنه . وخلعت ملابسى ونمت القرفصاء إلى جانب بولا .

كان جسمها الساخن يهتز مقشعرا إذا لمس جسدى ، ولذلك ابتعدت عنها حتى لا أضايقها . ولكن لم يكن السرير واسعا ، ولن ألبث حتى أحاول بدورى تدفئة نفسى . كنت أود أن أنام . إن النوبة النفسية الطيبة التى انتابتنى أثناء عودتى إلى المنزل لم تغادرنى بعد ، وأردت أن أبقى فى الأحلام على بعض من هذه

الحالة المحببة . ولكن الخطاب منعنى من النوم . إن الميراث قد جعلنى فى حالة اضطراب شديد ولو أنه لم يكن نقودا ، بل طردا ودار فى رأسى هذا السؤال « ماذا عساها أرسلت لنا . . . العمة تيكا ؟ » ولم يدعنى أنام .

ولابد أن الوقت كان متأخرا جدا ، عندما غرقت أخيرا فى النوم ، بعد أن قلبت جميع الأفكار المختلفة على جوانبها . إن الميراث لم يعد يهمنى ، وما يهمنى فقط هو النعمة اليومية الطيبة اللذيذة : الراحة .

وبعد ليلة هادئة نسبيا ، استيقظت فى اليوم التالى نشطة جدا . كان المطر يتساقط ، والجو جو نوفمبر المعتم الرطب . ولدى استيقاظى بحثت توا فى ذاكرتى عن الشىء الذى استطاع أن يبهجنى إلى هذا الحد أمس . وفى الحال ، اتجهت عيناى إلى الخطاب الموضوع على المنضدة . ودق قلبى دقات شديدة — إنه الميراث — ولكن فى نفس الوقت عانيت إحساسا قاسيا بالجوع . وبدأت أرتدى ملابسى دون أن أجرؤ على التفكير فيما سيحدث اليوم لبولا لو لم يكن هناك شىء تأكله . كانت شقيقتى لاتزال نائمة . كانت تئن طوال الليل ، ولقد أيقظنى أنينها مرتين . وفجأة لمعت فكرة فى رأسى لمعان البرق : سأذهب للبحث عن الطرد فى محطة الشمال وأحضره إلى المنزل . لقد نسيت أن البطاقة لم تصل بعد . ويوجد ما هو أدهى من ذلك . وهو أن رئيسنا مسيو كومورلى لن يدعنى أذهب ، وخاصة إذا أخبرته بالموضوع . وإذا تسللت مسرعة أو اكتفيت بكل بساطة بأن لا أذهب إلى المصنع فقد أتعرض للطرد ، بينما لازلت أجهل ماهية هذا الميراث .

كانت بولا قد استيقظت من النوم مندفعة ، وقالت بصوت نائم إلى حد كبير . وكأنها ألمت دفعة واحدة بسلسلة أفكارى .

ــ ربما تصل البطاقة اليوم، وإذن فى استطاعتك أن تسحبى الطرد بعد ذلك بقليل . ولم أجب ، لأنى كنت جد مستغرقة فى فكرة الميراث . وارتديت فستانى ، ورتبت شعرى مستخدمة المرآة الصغيرة التى هى من أقدم القطع فى أثاثنا . لست أعرف لماذا تملكنى قلق بسيط ، وبدأت أسرع، لأنه لم تكن لدينا ساعة وكنا نقدر الوقت باحساساتنا فقط . وعلى الناصية ، رأيت على الساعة الكهربائية أن الوقت لازال مبكرا جدا ولذلك تباطأت وتملكتنى فكرة الميراث تملكا تاماً فى ذلك الوقت ونقبت فى حقيبتى كى أخرج منها الخطاب الذى أعلمنا بوفاة انعمة تيكا . لا ، ليس هذا حلما ، وازداد اضطرابى أيضا، وفى الترام ، كان وجود عدد كبير من الناس يدفع بعضهم بعضا غير كاف لإعادتى إلى حالتى الطبيعية . لابد أنى كنت أشبه بنائمة تمشى وكأنها متيقظة . ولم أستطع الانتظار . وفى المصنع ، وضعت الكبسولات إلى جانب الخزامة، وأفسدت الأدوات ولكن لحسن الحظ لم يلمح أحد شيئا وفى الساعة التاسعة والنصف، لم أعد أستطيع الاحتمال أكثر من ذلك وأحسست كما لو كان هناك شىء يغلى فى نفسى ، وقد وصل إلى حالة الفوران ، مثل اللبن ، وفجأة ، فقدت السيطرة على الآلة وعلى نفسى. ولقد احتفظت فقط بمقدار من حضور البديهة يكفى بالضبط لإيقاف الآلة بحركة واحدة .

ونزلت من على الكرسى ، وذهبت إلى الحجرة التى تودع بها الملابس وفى هذه اللحظة بدا لى العالم مظلما مقززا مقبضا مثل

طشت غسيل قذر مقلوب . وسألني أحدهم ماذا دهاني . وأجبت برقة بالغة أنني أحس بتعب ، وتسللت بسرعة داخل حجرة الملابس ، ثم خرجت مسرعة . حتى ذلك الوقت ، لم يكن رئيس العمال قد لمحني . وعندما وصلت إلى الباب ، خرجت وأنا أميل برأسي نصف ميل حتى لا يلمحني العجوز روشتاش ، ولكنه كان مشغولا فى أحد الأركان. وعندئذ أخذت أجرى كمجنونة ، وفمى مفتوح من آخره حتى محطة الترام . وتأخر الترام ، فكدت أجن من عدم الصبر . وتمنيت لو اختلطت الدقائق ببعضها البعض ، ولو جرت الساعات بسرعة الثوانى . تجميد الوقت ، وعمل قشرة رقيقة شفافة منه ، ومعرفة ماسوف يجرى . لم أستطع أن أرى شيئا من خلال هذا الستار الكثيف . وأخيرا وصل الترام ودق جرسه . فقفزت داخله . وهكذا وصلت إلى المنزل .

كانت بولا نائمة من جديد . ولكن ما أن ألقيت نظرة قلقة على المنضدة ، حتى لمحت بطاقة وصول الطرد البريدى . وانتزع التأثر منى صيحة مضطربة ، استيقظت لها بولا . هى أول مرة أراها فيها منذ أمس . ولقد ذعرت ذعرا شديدا لمرآها . كانت لها سحنة رهيبة . كانت هناك تجاعيد محفورة حفرا فى وجهها الشاحب الطويل ، وكان أنفها ناتئاً فى وجهها النحيل ، وكأنه أنف مشوه لبهلوان . واستطاعت بكل صعوبة أن تفتح عينيها . ومن فرط مابذلت من جهد فى فتحهما ، اضطرت آخر الأمر أن ترفع رموشها بواسطة أصابعها . وكان صوتها ضعيفا إلى حد أنه كان من الصعب سماعه فى المخدع الصغير الضيق . وفى تلك اللحظة

نسيت الميراث . وجلست إلى جانب بولا ، وربت بيدى على شعرها . وأبعدت رأسها عن يدي وقالت « من الأفضل أن تعطيني شيئاً آكله ، لأنني أحس بجوع شديد » . ولم يكن لدى جواب على هذا . ونهضت ، ونظرت حوالى ، وبحثت عن أى شىء يمكن أن يوضع بين الأسنان ، ولكنى كنت أعرف مقدما أنه لا يوجد شىء فى المنزل . وقلت أنا أيضا بصوت خافت ، لأن الخوف كان يخنقنى « انتظرى ، سأذهب حالا للبحث عن شىء » . وتمددت بولا من جديد فى السرير وتنفست تنفسا عميقا ، وازداد شحوبها وشاهدت أنها عاودت النوم . ولم أدر ماذا أصنع . كنت أحس بأن بولا فى أسوأ حالة . وأنه يجب استدعاء طبيب إلى جوارها لأنه ربما حدثت كارثة . ولكن فى أثناء ذلك عادت إلى ذهنى قطعة الورق ، فأخذتها ووضعتها فى حقيبتى وعندئذ بدأت بولا الحشرجة . ومن خلال ظلمات خوفى العميقة ، كانت هناك فكرة عميقة تعذبنى : يجب أن أستدعى الطبيب . وجريت إلى المطبخ . وقلت لصاحبة البنسيون مدام جوليناش « إن بولا فى حالة سيئة هل تستطيعين من فضلك أن تلقى بين الحين والآخر نظرة على الغرفة ؟ » وتمتمت المرأة . كانت تعجن دقيقا ، وإلى جانب هذا فإنها لم تكن تحبنا كثيرا ، لأننا لم نكن ندفع لها بانتظام ، وإنما ندفع لها بالتقسيط . ولكنها أومأت برأسها علامة الإيجاب ، ونزلت السلالم بمنتهى السرعة ، وقد اطمأنت بعض الشىء ، كى أذهب للبحث عن الطبيب .

وجس الطبيب نبض بولا ، التى كانت شاحبة شحوب الكفن .

وبينما كان يحصى نبضها ، جلست قلقة على حافة كرسى . ولم تفتح بولا عينيها ، ولكن كان يشاهد أنها تعانى ألما شديدا . وكانت تئن بين الفينة والفينة وتبكى . ولم يلبث الطبيب طويلا إلى جانب المريضة . ورفع ذقنى ، ونظر إلى فى عينى ، وقال كما لو كنت لا أعرف ذلك .

ـــ إن شقيقتك مريضة جدا . لقد كتبت دواء ذلك اليوم ، فهل اشتريته ؟ وأومأت برأسى علامة النفى . وجلس الطبيب ، وأخذ يكتب ، وقال :

ـــ هذا دواء غال جدا ، ولكن لا يوجد هناك دواء غيره يمكن أن ينقذ بولا. هل تستطيعين الحصول عليه ؟

ولم أجب.. وأكمل.

ـــ حاولى . . هذا هام جدا .

وأردت أن أصيح «وما فائدة ذلك ، دعنا وشأننا» ، ولكن فجأة عاودتنى فكرة الميراث . وقفزت واقفة ، ونظر إلى الطبيب نظرة تساؤل . وقلت بمنتهى القوة « سأحصل عليه» ، وخطفت حقيبتى ، وخرجت أجرى بمنتهى السرعة . كانت الأبواب تقصف منفجرة أثناء مرورى ، كأنها مدافع ضخمة ، والجبس يتساقط فوق رأسى . ولكنى كنت أسرع بثبات المجانين، متجهة إلى محطة الشمال . يجب أن آتى بالميراث لأنه لم يكن هناك غير هذا لإنقاذ بولا . والشارع فى نظرى لا يعدو قطعة من القماش الملون تعج بالحركة . لم أعد أرى سوى بساط متحرك من أعضاء الجسم والوجوه والألوان ، يبدو كما لو كان ينزلق تحت قدمى . وأدار

أحدهم رأسه وضحك أثناء مروري ، ونظر إلى آخرون نظرات اشمئزاز . وبدا لى كل هذا متماثلا إلى حد كبير فى سآمة رعبي وعدوى الرهيب . وصعدت إلى الترام دون أن أدفع ثمن تذكرة . وقفزت سلم محطة الشمال وتعلق الجزء الأسفل من ردائى بمسمار وتمزق تماما . ولم أدر ماذا أصنع من فرط عصبيتى وهياجى . وهرعت تحت باب كبير تمر منه العربات ، وبيد مرتجفة ربطت الجزء الأسفل من ردائى بدبوس .

كانت الأمور فى مكتب البريد تسير سيرا سريعا نسبيا ، ودفعوا إلى بالطرد فى يدى وضممته بوجل إلى صدرى . لم يكن كبيرا ، وأحسست بداخله علبة موضوعة داخل ورق كستنائى ، ولم يكن وزنه ثقيلا . لقد شلنى التأثر شللا تاما . لقد تبقى لى من الشارع بضع صور مهتزة . وأسرعت تحت الباب الأول ، وشرعت فى فتح الطرد .. «الميراث» كانت يدى ترتجف باستمرار وسقطت الدوبارة والورق ، وبقيت علبة ، أخرجت منها علبة أخرى بحركة متلهفة . إننى أعرف أننى وصلت الآن إلى اللحظة الأخيرة إلى اللحظة التى يجب أن أكتشف فيها السر ، وأعرف الاحتمال الذى ربما كان معناه حياة شقيقتى . إننى أعرف أن نوعا من القهر الذى لا يمكن مقاومته كان يدفعنى إلى أن أفتح غطاء العلبة ، التى سأخرج منها المصير ، يا للشيطان ؟ وفى نفس اللحظة تملكتنى رغبة مجنونة : لم أرد أن أفتح العلبة . لم يرقنى فى هذه اللحظة أن أستقصى المستقبل . إن المستقبل سيكون كما هو ، وهذا هو كل شىء

وأبعدت الطرد عنى ووضعته على الأرض . وظللت واقفة لمدة دقائق أمام الطرد ، ورأسى لايحوى شيئا على الإطلاق . كنت أنظر إليه نظرات ثابتة ،كما لوكنت أصبت بالذهول واستقرت فى نفسى فكرة عدم فتح العلبة التى تحوى الميراث ، وأفعمت قلبى بهدوء بارد ، وظللت واقفة أنظر. ولكنى لم أعد أفكر فى شىء .

لبثت جامدة صامتة لبضع دقائق . وتسرب الخوف حتى قلبى ، كأنه يد مثلجة . وفجأة بدأت أرتعش . ومددت يدى نحو العلبة ، ثم سحبتها من جديد . لا ، هذا مستحيل . يجب أن أفتح العلبة . يجب أن أرى الميراث ، لأنه لم يكن هناك غير هذا لإنقاذ يولا.كان هذا مرعبا إلىحد أنى أخذت فىالبكاء منشدة الخوف . فى النشيج باهتزاز مختنق صامت . إن الدموع لم تسل ، ولكن جسمى كان يهتز من اختلاجات الألم . وعانيت إحساسا بالبرودة لم أحس به أبدا طوال حياتى . وانحنيت على العلبة ، وداعبتها بيدى . أزمعت أن أفتحها ببطء وبحذر ، ولكن فى اللحظة التى مست فيها يدى الغطاء ، توقفت فجأة . كان إصبعان من أصابعى فوقها ، عندما ردتنى عنها فجأة هزة كهربائية . ونهضت منتفضة . لم يكن هناك أحد . وعندئذ انفجر خوفى بضجة كبرى . وانهمرت الدموع على وجهى إلى درجة أنى عجزت عن منعها . ولكنه كان من المستحيل أن أقوم بهذه الحركة . لا أستطيع أن أفعلها . وفجأة توقفت الدموع . هذا مستحيل . يجب أن أفكر بهدوء وبتعقل . . بهدوء وبتعقل ! وبينما أنا أكرر هذه الجملة ،

رفعت العلبة . سوف أفتحها بهدوء . وأخرج منها الميراث ، وأعود إلى المنزل وأحمل الدواء إلى بولا . وأثار أمل صغير شاحب نفسي ، وكفت دموعي عن المسيل وارتسمت ابتسامة صغيرة ارتساما عابرا على وجهي . وضممت العلبة إلى صدري وبحذر كما لو كنت أتصرف طبقا لخطة نوقشت تمام المناقشة ، شرعت فى فتح الجزء العلوى من العلبة .

ولكن أصابعى المشلولة ترددت وظلت متوترة دون حراك. ماذا جرى ؟ لم أعد مسيطرة على إرادتى ، وعلى يدى. وقلت لنفسى بصوت عال ، ماذا حدث ؟ ، وسمعت فزعة صوتى يتردد . إن الأمور لا تسير هكذا . وداهمنى خوف رهيب ، كما لو كنت قد فهمت شيئاً ، وأخذت أجرى . وخرجت إلى الشارع . وفى أثناء الطريق لم أكف عن تشجيع نفسى ومناشدتها العقل والهدوء والثبات . كنت أجرى كنائمة تتحرك ، بين خطوط الترام ، والأتوبيسات ، والعربات ، والرجال ، الذين لم يتمكنوا حتى من إلقاء نظرة على . كنت وحيدة تماما ومنعزلة عن أية مساعدة ممكنة . كل ما أعرفه أنه لم يكن فى استطاعتى أن أفتح العلبة بنفسى وأننى لا أجرؤ على النظر إلى داخلها ، لأننى كنت خائفة . إن المستقبل جميل جدا هكذا ، ومسالم جدا ، ولا يمكن التكهن به ، وباسم . وردتنى العلبة التى كنت أقبض عليها بيدى إلى الحقيقة لو أن الدواء كان داخل الطرد ؟ . . لكن لو أن . . لو أنه لم يكن هكذا ، إذن . . ماذا سيحدث إذن ؟ لم أجسر على أن أواجه هذا

الاحتمال هذا مستحيل. أظن أنه يجب أن اطلب إلى أحد ما أن يفتح العلبة ، ونظرت حوالى كان الناس يمرون إلى جانبي شاحبين بوجوه كالحة وكما لو كانت هناك هالة تحيط بهم، وإنهم ليختلطون بعتمة ذلك الصباح من نوفمبر . كانت النساء يتأملن واجهات المحلات ، ويصلحن من شعورهن وهن ينظرن إلى وجوههن فى الفترينات ، عندما يرين خلفهن رجلا ، ويبحثن عن أحمر الشفاه والمرآة داخل حقائبهن اليدوية . لم يكن هناك أحد فى أى مكان ويمر مئات ومئات من الناس إلى جانبي فى الشارع بسرعة الريح ولكننى لم أجد أحدا يصلح . لم أجد أحدا يستطيع أن يفتح العلبة . هؤلاء أجانب وإنهم لايفهمون لماذا أرجوهم .

لا أدرى كيف أصبحت بالقرب من نهر الدانوب . وازداد اضطرابى لمرأى الماء المتجمد . إن الدانوب كالح قذر ، يشبه تماما وجوه الناس التى كانت تمر فى الشارع ، ولم أطلب نصيحة منه أيضا . كان الجو باردا ، ولكن السير أدفأنى ، وجلست فوق هلب مركب ، ووضعت العلبه أمامى ، ونظرت إليها ، أحسست بأننى أهدأ شيئا فشيئا . ربما استطعت أن أفتحها الآن . ولكن ما أن اقترب ذراعى منها ، وبقدر ما تقل عدد السنتيمترات التى تفصلنى عنها ، تتجمد الحركة، وتتحول إلى عدم متجمد ولم أستطع حتى البكاء ، وخرجت من فمى كلمات غير مفهومة. ولقد أدركت ذلك لأننى سمعت همس الشفتين . وجلت على الشاطىء ووجهى إلى الدانوب . وأمام عينى بدت الجبال كأنها تستحم فى أمطار الخريف الحزينة . كان الماء الرمادى الدقيق النفاذ يتساقط قطرة

قطرة فوق الجسور ، وكانت تبعث القطرات التى تسقط فى ماء النهر فقاعات صغيرة وألقيت من جديد نظرة على العلبة ، إذن ، هذا هو المستقبل . . الشفاء . الميراث . . ؟ وانتابنى تقزز بارد . تقزز خانق . ونهضت ، لأننى أحسست أن قطعة الحديد التى أجلس عليها باردة . واهتز جسدى كله اهتزازا متقلصا . إذن ، هذا هو الخلاص . العالم الأفضل . ذلك الموجود داخل العلبة على شاطىء الدانوب ؟ ولكن فجأة كف جسمي عن الاهتزاز . وأصبحت هادئة ثابتة كتمثال من حديد . ونهضت ونظرت أمامى نظرة مستقيمة نحو الجبال ورفعت ساقى ، ودون تردد ركلت العلبة . ودارت دورة صغيرة ، ولم تسقطها الدفعة إلا بعد خمسين سنتيمتراً فقط من الشاطىء . وأحدث سقوطها اضطرابا بسيطا فى المياه وظلت طافية لحظة ، ثم غطست تحت ثقل ما تحتويه . ورأيتها تدور بسرعة على بعد نصف سنتيمتر تحت مرآة الماء ، قبل أن يبتلعها اليم .

ولم يعد هناك بعد ذلك شىء يمكن عمله .

# رفقًا بالصّغيرة

للكاتب : لايوسه نامى

ترجمة : عمر رشدى

يبدو أن شيئا أصاب جوجى . إنها تذهب إلى المدرسة بغير انتظام ، وتؤدى الواجبات المدرسية باشمئزاز . وفى الاجتماع الذى يحضره أولياء أمور التلاميذ ، شكا المدرس إلى أمها قائلا : « أنا لا أقول عنها أنها غبية ، وإنما أقول أنها كسول . ويجب أن يكون هناك تحفيز لها من قبل المنزل أيضا على متابعة دروسها »

وتدافع مدام ديميتير — أم جوجى — عن إبنتها . وإنها لتحميها ضد كائن من كان ، وضد النساء اللاتى يقطن بجوارها واللاتى نصحنها بأن تضربها ضربا مبرحا .

وقالت مدام جولياش : « إنها خائفة منها ، ولذلك فهى تدافع عنها . إن ضميرها يعذبها لأنها نسيت والد الفتاة فى أقل من لمح البصر . »

وتدافع مدام هولبان ، المطلقة الجميلة التى تعمل فى مصنع

الأغذية ، عن مدام ديميتير ، فتقول :

ـــ لماذا تفهمونها بأنها نسيته ؟ لقد اختفى المسكين ديميتير فى الهجوم الذى وقع على نهر الدون فى سنة ٤٣ . . . اختفى لساعته. ماذا تستطيع امرأة وحيدة مسكينة أن تفعل إزاء ذلك ؟

أجابت مدام جوليباش :

ـــ حتى الآن ، هناك احتمال بأن يعود . بل هناك احتمال أن يعود أناس فى خلال عشرسنوات. وسوف ترين. لا يليق بامرأة لها مثل هذه الابنة الكبيرة أن تشجع المترددين عليها، وأن تذهب إلى المسرح والسينما وأن تسرح شعرها «بيرمانانت» لدى الحلاق .

ونهضت مدام هولبان وانصرفت ، مخافة أن تنشب مشادة بينها وبين مدام جولياش . إن مدام جولياش سيدة عجوز ثرثارة وليس لها من عمل سوى الثرثرة .

وحقا ، لقد اختفى يوجيف ديميتير فى سنة ٤٣ أثناء الهزيمة التى جرت على نهر الدون ، ويعرف رفاقه الذين كانوا معه فى نفس الفرقة ـــ وعلى الأقل من بقى منهم على قيد الحياة ـــ ماذا حدث له . وكل منهم يقرر ما حدث كما لو كان حقيقة لامراء فيها ولكن يروى كل منهم قصة مختلفة . وطبقا لأقوال جالامبوش فقد أصيب ديميتير بشظية قنبلة ، ومات بين ذراعيه ولكن أقوال جالامبوش لا يمكن التعويل عليها ، لأنه أصيب بالتيفود وأمثال هؤلاء المرضى يخلطون بين أحلام الحمى والحقائق . وطبقا لأقوال جالامبوش، فقد مات بين ذراعيه ألف شخص، أو بتعبير أدق جميع الأشخاص الذين يستعلم عنهم الناس منه .

ويؤكد هالكا أنه انضم إلى الروس. ولديه هناك غانية فاتنة ومن أجل ذلك لم يعد. ولكن هالكا لا يمكن أن يصدق هو الآخر لأن قلبه مشغول بمدام ديميتير المرأة المتوهجة الجميلة... النوع الذي يروقه.

ويؤكد بال تاكاتش أنه رآه يقع أسيرا، ولكنه لم يأبه عندما وقع فى الأسر، بل كان يصفر مبتهجا وهم يقودونه إلى الوراء. ويقول تاكاتش إنه رأى ذلك من قمة شجرة عالية تسلقها كى ينقذ نفسه.

حسنا، لعله لايهم ماحدث، وكيف حدث. إن بيت القصيد فى الموضوع هو أن والد جوجى لم يعد.

وأحيانا تفكر مدام ديميتير فيه، وعندئذ تطرد ذكراه.

ومع ذلك، فقد ظل ديميتير حقيقة حية فى نظر المرأة، لأن هناك ابنته: جوجى. كيف يمكنها أن تكون صارمة مع هذه الفتاة الصغيرة اليتيمة . ثم لقد ظلت مريضة حوالى عامين ونجم عن ذلك أن تخلفت كثيرا فى المدرسة.

وأعلنت جوجى.

— إبتداء من الغد، لن أذهب إلى المدرسة بعد اليوم سوف أشتغل فى مصنع.

— فى مصنع. إنك صغيرة السن، ولا يبدو عليك أنك جاوزت الخامسة عشر، وأنت غير صالحة للعمل حتى الآن. من الأفضل أن تذهبى إلى المدرسة.

وضربت جوجى الأرض بقدميها غاضبة وقالت:

— لن أذهب. سوف أذهب إلى مصنع حامض الكبريتيك

— إلى مصنع حامض الكبريتيك ؟ !

— إنه ليس مصنع حامض الكبريتيك فقط ، وإنما هو أيضا مصنع للأحماض الكيماوية . لو أننا اشتغلنا نحن الاثنتين ، لاستطعنا أن نحيا حياة لائقة . لقد سئمت حياة البؤس . إنك تقومين بتفصيل وحياكة فستان أو فستانين من حين لآخر وهذا كل شيء . سوف يتحسن حالك ، لو أنك اشتغلت فى مصنع . لقد ولى عهد المشروعات الفردية .

— ماذا تقولين ؟

— المشروعات الفردية ! ها ! إن مشروعا فرديا كالمشروع الذى تقومين به يا أماه ، لا يمكن أن يدر مبلغا كافيا للحياة حياة لائقة لأنه من الناس يقصدونك لصنع ملابسهم لديك ؟ أولئك الذين لا يريدون أن يدفعوا أسعارا مناسبة . أنت تقبضين ٨٠ فورينت فى الفستان ، وتدفعين ثمن الخيط وتكاليف الكى بالكهرباء . وتقضين مابين ٣و٤ أيام كى تنجزى هذا الفستان . احسبي كم يمكنك أن تكسبي ؟

— حسنا ، هذا صحيح ، ولكنى أشتغل عندما أحس برغبة فى العمل .

أجابت جوجى بوقاحة .

— لا تقولى عندما أحس برغبة فى العمل . إنك تعملين ، عندما ترغب الزبونة فى صنع فستان . وفى المصنع ، توجد ساعات عمل منتظمة ، أما فى المنزل فتشتغلين أحيانا فى الليل ، ثم يأتى أسبوع بعد ذلك دون عمل ودون مكاسب .

ودخلت جوجى المصنع كعاملة مبتدئة . وتنظر إليها أمها بقلق ، عندما تقفز من سريرها فى الساعة الخامسة صباحا . كان عليها أن تستيقظ مبكرة ، لأن عملها كان بعيدا جدا فى طريق شوروكشارى بينما كانا يقيمان فى بودا فى هوفوشفولج .

كانت جوجى نحيلة ، ويخيل للناظر إليها أنها ازدادت نحولا فى بضعة أيام قليلة . وعندما تنظر أمها إلى يديها ، تشعر بحزن شديد . إنهما مغطيتان ببقع زرقاء صغيرة . وإنها لتغسلهما عبثا لقد تآكل جلدهما بفعل الأحماض الكيماوية التى اخترقته .

وتتنهد مدام ديميتير قائلة « يالبشاعة يديك ! »

— سوف تصبحان أكثر جمالا عندما أضعهما على أول أجر لى .

وتذهب جوجى بابتهاج إلى المصنع ، وعند ما تعود فى المساء تترنم بأناشيد العمال .

وقالت مدام جولياش :

— سوف تصبح هذه الفتاة ندا لأمها فى سوء السيرة إنها تحب من المصنع دون شك هذا العدد الوفير من الرجال الذين تعمل بينهم.

وهزت مدام هولبان رأسها :

— إنها لازالت طفلة ، ولا يمكن أن تفكر فى الرجال فى مثل هذه السن .

— ها . . . انظرى كيف برز نهداها . وهل تصدقين أنها كسبت فى نصف شهر ٤٥٠ فورينت من عملها فى المصنع؟ لقد أعطت لأمها أكثر من ٤٠٠ فورينت. وتذكرى ما أقوله لك جيدا ، سوف تحمل قريبا جدا للمنزل مبلغا آخر لا يقل عن ١٠٠ فورينت .

دار هذا الحديث بين مدام جولياش ومدام هولبان فى متجر « كوزيرت ». ولقد غضبت مدام هولبان غضبا شديدا من المرأة العجوز إلى حد أنها فضلت أن تغادر المتجر دون أن تشترى السكر الذى كانت قد اعتزمت أن تشتريه. وقالت مدام جولياش لسيدة لا تعرفها على الاطلاق كانت واقفة بجوارها أمام منضدة البيع « ثم إنها تساوى حقا هذا الثمن ». ولم تجب المرأة المجهولة، بل انسحبت من جانب مدام جولياش. وتمتمت مدام جولياش « كلهن عاهرات ». وقد صبت جام غضبها على السيدة المجهولة التى رفضت أن تبادلها الحديث.

مضى على جوجى ثلاثة أشهر، وهى تعمل فى المصنع. وشيئا فشيئا، أذعنت مدام ديميتير للحقيقة الواقعة، وهى أن جوجى فتاة عاملة. بل أصبحت مسرورة، لأن الفتاة كانت قبل كل شىء تكسب نقودا. وهى تعطى ما تكسبه لأمها. واشترت مدام ديميتير حذاء لنفسها، وفستانا لجوجى من القطن الأخضر المزدان بزهور كبيرة. وتحسنت يدا الفتاة إلى حد ما. لقد علمتها امرأة عاملة تفوقها خبرة كيف تغسلهما: أن تدلكهما تدليكا قويا فى دورة المياه بالفازولين وفرشة الأظافر عندما تنتهى من عملها مباشرة

وترصدت مدام جولياش لمدام هولبان على السلم، وقالت لها:

— والآن ما رأيك فيما قلته لك؟ لقد عادت صغيرتك جوجى أمس إلى منزلها بعد الساعة الحادية عشرة.

وسألت مدام هولبان متعجبة:

— ولماذا صغيرتى أنا بالذات ؟

وأجابت مدام جولياش غاضبة :

ـ لماذا ؟ لأنك تدافعين عنها دائما .

ـ يمكنها أن تظل شريفة ، على الرغم من أنها تعود إلى منزلها فى الساعة الحادية عشرة ، وقبل كل شىء فهذا من شأنها . . من شأنها وحدها فقط ولاشأن لأحد بذلك على الإطلاق .

ـ أوه . . ياسلام ! ياسلام ! يالك من امرأة عصرية . . نحن مقبلون على عالم رائع يحق فيه للفتيات الصغيرات أن يعدن إلى منازلهن عند الفجر . عالم ديمقراطى حقا !

وكما فعلت المرأة المجهولة فى المتجر ، تركت مدام هولبان مدام جولياش مرة ثانية واقفة وحدها هناك . ومع ذلك ، فقد بدأت هى أيضا تشعر بغضب إزاء جوجى . وزارت مدام ديميتير على غير انتظار وطلبت منها أن ترسل الفتاة إليها فى اليوم التالى ــ صباح الأحد ــ لأنها تريد أن تقول لها بضع كلمات .

وتنهدت مدام ديميتير قائلة :

ـ سوف أرسلها لك ، إذا شاءت أن تذهب . إنها لا تأبه بأقوالى وهى تتبع رأسها الأهوج . ولقد عادت الليلة الماضية إلى المنزل متأخرة أيضا . وعندما سألتها اين كنت ، لم تفعل إلا ان ضحكت وقالت إنها ستخبرنى بذلك يوما ما . قلت لها « ياابنتى ، أنت على وشك الزلل » وازداد ضحكها وكدت أنقض عليها ، مع أننى لم أضربها فى يوم من الأيام . وقالت لى « لاتقلقى بشأنى ياماما . . إننى عاملة . وفى استطاعتى أن أهتم بشأنى ، كما أفعل الآن . »

وقالت مدام هولبان وهى متأهبة للانصراف عند الباب :

— إرسلى الفتاة لى .

كانت متألمة جداً لمـا سمعت . وقالت لنفسها ياللهول ! ربمـا كانت هذه المرأة العجوز المشاكسة مدام جولياش على صواب ؟

وهبطت جوجى فى اليوم التالى لدى مدام هولبان . وبادرتها

— صباح الخير . . أعنى « الحرية »

وردت مدام هولبان تحية الفتاة قائلة « الحرية » . ثم دفعت صفيحة الـكعكة إلى داخل الفرن مرة ثانية ، لأن الـكعكة كانت لا تزال شاحبة . تشممت جوجى محركة أنفها ومديرة نظراتها فى أنحاء المطبخ وقالت :

— يا للرائحة التى تنبعث منها والتى تعطر المـكان .

— سوف أعطيك قطعة منها ، عندما أنتهى منها . ولـكنى أريد أن أستفهم منك يا جوجى عن بعض الأشياء ، فاجلسى .

وأشارت مدام هولبان إلى كرسى مطبخ أبيض بياض الثلج .

قالت جوجى :

— كل شىء جميل جدا هنا . عندما يزيد أجرى ، سوف أبتاع أثاث مطبخ مماثل لهذا تماما .

وأجابت مدام هولبان :

— يمكنك أن تنتظرى قليلا كى تحقق هـذا . إن الأثاث الجميل والملابس الأنيقة والحياة الرغدة ليست كل شىء . أحيانا يدفع الإنسان مبلغا طائلا ليشترى به شيئا تافها رائع المنظر .

ـــ إن أصحاب الدكاكين يغشون طبعاً . ولكني لا أشترى أبداً إلا من متجر من متاجر الدولة .

وشعرت مدام هولبان برغبة فى معانقة الفتاة لإجابتها الحمقاء. وفكرت فى أن مدام جولياش ولا شك امرأة عجوز تشهر بالناس.

ومع ذلك . فقد اعتزمت أن توجه بضعة أسئلة إلى الفتاة حتى تتأكد . وفجأة ، قذفت الفتاة بسؤالها :

ـــ أين كنت تتسكعين فى هذه الساعة المتأخرة من الليل ؟

واحمرت وجنتا جوجى خجلا ، ولم تجب . ولم يرق هذا الخجل لمدام هولبان .

أترى هذه الكلبة العجوز مدام جولياش على حق ، فى نهاية الأمر ؟ !

ـــ لماذا لا تخبرينى ياصغيرتى ؟ أنا لست أمك ، فى استطاعتك أن تخبرينى . وغضت جوجى من بصرها ، وقالت بعد لأى :

ـــ إننى خجلة .

واصفر وجه مدام هولبان . ياللهول . لقد كانت الشمطاء الملعونة مدام جولياش على حق .

وأدارت جوجى أنفها فى أرجاء المطبخ ، وتشممت :

ـــ إن الكعكة تحترق أيتها العمة هولبان .

لقد كان وقع الاستفزاز عليها شديداً ، ولذلك أصابتها رجفة ولكنها كانت رجفة معتدلة .

وقفزت مدام هولبان إلى طارف المطبخ . وأخرجت صفيحة الكعكة . وحقا لقد احترق أحد وجهى الكعكة احتراقا طفيفا .

قالت جوجى :

ـــ إننى لا أحب الكعك المحترق .

قالت مدام هولبان :

ـــ حتى لو تمكنت من إنقاذها ، فلن تأكلى منها . . . أفضل أن ألقى بها فى صندوق القمامة .

كانت جوجى منصرفة عن مدام هولبان . كانت تصوب نظراتها إلى الكعكة . كانت تعبد الحلوى . وقالت :

ـــ كنت خجلة من إخبار أمى ، وفكرت فى أن أسأل العمة هولبان كى تجد حلا لهذه المسألة .

ومسائل أخرى . عليها إذن أن تجد حلا لمشاكل هذه الكلبة الصغيرة . فى استطاعتها أن تتوقع ذلك عندما يصبح لون القمر أخضر . حتى اليوم ، لقد كانت مغرمة بجوجى إلى حد أنها كانت تعتبرها ابنتها هى وألقت غاضبة بصفيحة الكعكة التى كانت ممسكة بها على أرض المطبخ .

قالت جوجى :

ـــ إنها لم تحترق كثيراً . . إننى أحبها هكذا .

صاحت مدام هولبان ثائرة :

ـــ اصمتى ودعى هذه الكعكة جانبا وحدثينى عن نفسك .

كانت عينا جوجى مشتتين على الكعكة . وقالت :

— حسناً . . أنت ترين ياعمتى أننى خجلة لأن . . الكعكة لم تحترق على الإطلاق . لقد احمرت قليلا .

— هل أنت مجنونة ؟ تكلمى عن عودتك إلى المنزل عند الفجر .

— سأخبرك يا عمتى ، لكنه سر ، يمكنك أن تخبرى به أمى فقط .

وفكرت مدام هولبان ، وقالت لنفسها :

— هذه الفتاة مجنونة . إنها حالة مرضية . لا يمكن للإنسان أن يغضب منها .

— إننى خجلة لأننى كرهت أن أذهب إلى المدرسة كراهية مقيتة ، والآن . .

— لا تتحدثى الآن عن المدرسة ، تكلمى عن أين كنت تتسكعين طوال الليل .

— لو أن ذلك التسكع ظل طوال الليل ، ما استطعت العمل إننى أظل هناك كل ليلة حتى الساعة الحادية عشرة .

— أين . . أيتها التعسة ؟

ورمقت جوجى مدام هولبان بنظرة متعجبة وقالت :

— لقد قلت لك يا عمتى . . فى المدرسة . إننى أواظب على حضور دروس ليلية . من فضلك . لا تضحكى منى . ولكنى اليوم جد شغوفة بالتعليم . إننىأريد أن أصبح مهندسة كيماوية .

# المتوحشون

للكاتب : (جيجموند موريتز)

ترجمة : ابراهيم العطار

أشرع كلب الراعى أذنيه وأرهف السمع ثم راح يتشمم الهواء . ولم تمض دقيقة حتى بدأ يزمجر وينبح .

قال الراعى لكلبه :

ـ ماذا جرى ؟

ولكن نباحه ازداد حدة . وتساءل الراعى :

ـ ماذا وراءك ؟ . . أضيوف من المدينة . ؟ !

ولاذ الجرو بالصمت متسمعاً لحظة .

ـ أتراهم رجال المزارع ؟

ولم يلبث الجرو أن عاد إلى نباحه من جديد .

ـ ماذا بك . . ؟

ثم اضطجع الراعى فوق الفروة مستظلا بحماره ، ولم يشغله الأمر أكثر من هذا .

ولم يمض وقت قليل حتى تعالى نباح كلبى الحراسة الكبيرين ، منذرين باقتراب غريب . وانضم معاً فى عواء غاضب أجوف ، كان دويه كفيلا لبعث الرعب القاتل فى قلب الشيطان .

ولكن الراعى كان قد أدرك ، أن الأمر لايعدو أن يكون اقتراب غريب ولقد كان فيما أنذره به جروه الكفاية .

ومر وقت طويل ممل ، قبل أن يظهر الراعيان فوق السهل الأغبر ، ممتطيين حماريهما ، وفى أثرهما كلبان يعدوان .

وتراجع الجرو حتى التصق بسيده ، وواصل نباحه العنيف دون هوادة . أما الكلبان الكبيران ، فقد لان نباحهما حتى هدأ ، إذ تبينا فى القادمين راعيين من أهل المنطقة ، ولعلهما أيضاً ، قد تبينا فى الكلبين جارين لهما . كان كل منهما يكف عن النباح فترة ، ثم يعود لينبح مرة أو مرتين ، ولكنه كان نباحا لاجد فيه .

أما الجرو ، فقد كان وحده الذى لم يتخل عن نباحه ، كان ينبح كأنما قد طعن بسكين .

وبينما كان الزائران يتقدمان من القطيع ، شرعت الكلاب تقتتل وتتهارش وتتمرغ على الأرض .

وأطل أحد الراعيين من فوق حماره ، ووخزها بعصاه ، ثم لوح بها فوق رأسه ليضرب هذا الكلب أو ذاك . !

ولكنه لم يفعل . ثم ترجل أخيرا عن مطيته وتوكأ على عصاه الخشنة متجها إلى فروة الراعى المضيف . صاح :

— هيه . . . . — هيه . . . .

واعتدل المضيف من ضجعته ، ثم اتكأ على مرفقه ونظر



إلى القادمين ، ثم فاه ببعض عبارات الترحيب . وهنا تحول عراك الكلاب إلى هراش بين أصدقاء ..

وبلغ الزائر الأول مرقد القطيع . كان يتقدم متخطرا فى خطاه الواسعة . قال :

— طاب يومك يارجل .

— طاب يومك .

ونهض الراعى على قدميه عندما تبين الضيف، رغم أنه لم يكن أهلا بهذا التكريم . كان رجلا شريراً . تناقل الناس عنه ، أنه اتهم مضيفه — فى الحانة — منذ أيام ، باختلاس مراعى الغير ليكلأْ أغنامه .

لماذا يشيع هذه القرية عن رجل يحمل تصريحا برعى أغنامه فى منطقة محددة لم يتعدها ؟

ولكن ليس من اللائق أن يفصح الإنسان عن مثل هذه الأفكار وهو يستقبل ضيفه . شد المضيف على يد القادم ثم قال :

— تفضل . . . تفضلا كلاكما .

وهنا بلغ ثانيهما المكان ، فهبط عن دابته بدوره ثم أطلق الحمارين لحالهما ، ولكن أحداً منهم لم يتزحزح عن مكانه ، وران عليهما السكون، ولم يكن يتحرك منهما إلا جلد يرتعد تحت لسعات الذباب ، وآذان حائرة تتبع صوتا هنا وهناك .

وسحب كل من الراعيين الزائرين فروته من فوق ظهر حماره وبسطها على الأرض ثم جلس . جلس الثلاثة يتبادلون النظرات

دون أن ينطق أحدهم بكلمة . كانوا ثلاثتهم من الرعاة . أولئك الرجال الذين يشاطرون قطعانهم معيشتهم . لم يكن أحدهم قد شاهد قرية قط ، اللهم إلا إذا كان قد اضطر يوما للذهاب إلى عرس أو سوق . إنهم من أهل البرارى الخشنين . كانوا يجلسون تحوطهم أرض السهل الفضاء ، والسماء الزرقاء . سماء تسبح على صفحتها قافلة من السحب البيضاء ، وأرض لا يسمع فى جنباتها غير غناء الصراصير الجبلية . ولم يكن بقربها غير شجرة واحدة ملتوية الجذع ، من أشجار الكمثرى ، تتهـــدل أغصانها متدانية نحو الأرض .

ولم يكن القطيع الكبير قد عاد بعد ، كان مع العفريت الصغير بعيدا ، كان مع ابن ذلك الراعى ، غلام فى ربيعه الثانى عشر . ولم يكن ثمة ما يوصف فى الغلام ، فقد كان قبعة ضخمة وخصلة من الشعر ثم قليلا من الفضول أيضاً . كان وقت قدوم الضيفين ، قد بدأ يسوق القطيع عائداً به ، وعند الغسق ، كان قد بلغ مجلس أبيه .

وكان الرعاة الثلاثة مازالوا على جلستهم التى خيم عليها الصمت والرعاة يستطيعون أن يقضوا أياما وأياما دون أن ينطق أحدهم بكلمة . وعندما يصبحون معاً ، فهم يحتفظون بصمتهم أيضاً معا . وحتى فى مثل هذه الأوقات التى يتزاورون فيها ، لا يكلف أحدهم نفسه عناء الحديث .

— والمرأة . . .

فاه أحد الزائرين بهذه الكلمة آخر الأمر . كان رجلا ضخما أحمر البشرة . كان قويا عظيم الهيكل ، يتناثر على صفحة وجهه النمش . وكانت له عينان زرقاوان ، وشارب فى لون الرمال . وأما شعر رأسه ، فقد كان من العسير على الإنسان أن يتبينه ، لأن قبعته كانت معلقة فوق حاجبيه .

وعقب الزائر الثانى على كلمة رفيقه بزمجرة كزمجرة الخنزير . كان أقصر منه قامة ، وله أنف أفطس تلمع من فوقه عينان فضوليتان . أخذ منذ البداية يدخن غليونه فى هدوء وهو ينظر إلى كل من جليسيه دون أن يشترك فى حديثهما بكلمة واحدة . وأجاب المضيف :

— كانت هنا — متى ؟
— منذ أسبوع تقريبا . — ومتى ستأتى ثانية ؟
— إنها ستأتى . — هل لديك طعام ؟
— مايكفى لأسبوعين — عشرة أيام
— عشرة أيام

ثم عاد الصمت يخيم عليهم .

وعندئذ وقف الغلام قربهم أيضاً . كان يتكىء على عصاه الخشنة وهو يرقب الزائرين دون كلمة . كم كان تواقا إلى معرفة هويتهما ، لماذا جاءا . وما كان صمته لعدم اجتراء على الحديث . ولكن المسألة أنه لم تكن به رغبة فى الكلام ، مادام أحدهم لم يتطوع بإجابة تطفىء جذوة فضوله المشتعلة فى عينيه . وعلى

أي حال ، فما وجه العجلة ؟ إنه ليس متعجلا لمعرفة ما تسائل عيناه عنه .

وبدأت الشمس فى الانحدار نحو مغربها وراء الأفق. والغلام مازال على وقفته ، ونظراته المتسائلة يصوبها إلى الرجال الثلاثة. إنه لم يعرف حتى الساعة ، من يكون هذا ومن ذاك ، ولا عرف حتى ماذا يريدان . وشملته موجة من الحسرة عندماذكر أن عليه أن يذهب الآن مع قطيع الأغنام إلى الحظيرة. ولكن ترى هل سيأتيه الجواب على تساؤله حينئذ .

حسنا . فحتى الساعة لم يأت الجواب ، لأن ثلاثتهم يضطجعون فحسب ، ولا يفعلون شيئاً سوى مواصلة تدخين غلايينهم . وقد ينهضون جالسين أحيانا ، لكى يجعل كل منهم ساقيه متقاطعتين كعادة الرعاة .

وكان الراعى المضيف يلقى — من وقت لآخر — بنظراته على ما حوله ، كأنما يبغى التطلع إلى أغنامه . ولكنه فى الواقع كان ينظر إلى عصاه ويفكر فيما إذا كانت فى متناول يده .

وعندما لمست الشمس الأفق ، كانت أشعتها تعكس على كل ماهناك بريقا أحمر. وبدأت الأطيار تحلق فوق الرؤوس، أطيار صغيرة هائلة العدد ، راحت تتصيد الذباب المتصاعد فى جماعات كالسحب من بين أعشاب السهل .

— أتسمعنى؟ — ثم . . . — هل لديك منطقة ؟ — نعم.

— لقد رأيتك تتمنطق بها فى العام الماضى بالسوق . إنها حزبنة بأزرار من النحاس . — إنها عندى .

— تستطيع أن تبيع هذه . . — أبيعها ؟ — نعم .
— إنها ليست للبيع . — كلا . . ؟ — كلا . — لم لا ؟
— لا . . فقط . كانت قد صنعت من أجلي — من أجلك ؟
— من أجلي ومن أجل غلامي . — من أجل غلامك ؟
— من أجله . — من أجلكما أنتما الإثنين ؟ — نعم .
وانتهى الحديث فساد الصمت من جديد .

وهبط الظلام فجأة على كل ما هنالك . هبط فى سرعة كما لو كان أحدهم قد أطفأ قنديلا .

— إذن ، فلن تبيع . — لقد قلت لك .

وتسللت يد الراعى الضخم إلى عصاه فقبض عليها ، ثم سحبها فى هدوء إليه ، كأنما يهم بالقيام .

ولم يأت المضيف بحركة ، ولكنه كان يرقبه بعين لا تطرف كأنه كلب يقظ من كلاب الرعاة يقوم بالحراسة .

— أهذه كلمتك الأخيرة ؟

وفى لحظة واحدة ، قفز المضيف واقفا ووثب الآخران عليه وقرعت العصى مرة ، ثم أخرى . فى أول مرة ، عصوان على العصا الثالثة ، أما فى المرة الثانية ، فقد كانت عصا واحدة على رأس المضيف .

وترنح الرجل . .

— هل جئتما من أجل هذا ؟

ولم يستطع أن يزيد كلمة . فقد وثب عليه الرجلان الوحشيان

وفى دقيقة واحدة ، كان الرجل مضروبا حتى الموت . وسقط الراعى المضيف فوق الأرض ، وحتى فى هذه اللحظة ، لطمه الرجلان ، أحدهما بعد الآخر ..

كان الغلام الصغير هناك إلى جوارهما ، ولكنه لم يكن يستطيع شيئا أكثر من أن ينظر فحسب . لقد حدث كل شيء فى سرعة ، فلم يتمكن حتى من أن يصيح .

قال له الرجل الأحمر البشرة : — اخلع عن أبيك منطقته .

ولكن الغلام ظل واقفا لايتحرك — قلت لك اخلعها فورا .

وبوجه أبيض كالموت ، تحرك الغلام تحت نظرات الرجلين إلى أبيه ، فخلع عنه المنطقة وسحبها من حول وسطه . — هاتها هنا .

ورفع الغلام يده بالمنطقة وقلب النظر بينهما محاولا أن يعرف لمن منهما عليه أن يسلمها . ولكنه عندما رفع البصر ، لم يستطع أن يرى إلا أن عصا قد ارتفعت . ثم هبطت العصا على رأسه . لقد تلقى ضربة واحدة جعلته يسقط على الأرض ميتا لتوه .

وكأنما أدركت الكلاب الأربعة ماوقع . فقد ازداد هراشها الوئيد حيوية وعنفا . وثب كلبا المضيف على الآخرين وقد أخذ كل منهما بخناق غريمه متدحرجا معه فوق الرمال . كانت جميعها تصطرع وتعوى وتتمرغ وسط الآلام والدماء .

أما الجرو ، فقد وثب على الراعى ذى البشرة الحمراء وعضه فى ساقه ، بينما كان الرجل يركله بقدميه ويضربه بعصاه حتى أخمد أنفاسه .

لم يكن الظلام يسمح برؤية مسرح القتال الذى يجرى عنيفاً بين الكلاب الأربعة . ولكن المعركة أنتهت على اى حال ، عندما قضى اثنان منها على الآخرين ووقف الرجلان وقد اتكأ كل منهما على عصاه ، ينتظران انتهاء كلبيهما من مهمتهما . وبرز الكلبان من الظلام يلعق كل منهما جراحه وقد خضبت الدماء جلده . قال الراعى الضخم : — انبشا . . انبشا الأرض .. !

وسرعان ما بدأ الكلبان فى حفر فجوة فى الرمال ، إلا أن عملهما كان غاية فى البطء . فتناول كل من الرجلين معوله القصير المقبض من على ظهر حماره ، وراحا يعاونان الكلبين . وعندما تم صنع الحفرة ، التقط الرجل القصير جثة الغلام ثم ألقاها فى قاعها ، وحاول سحب جثة الأب ، ولكن ثقلها كان أكبر من استطاعته . قال زميله : — هاك المنطقة .

وتناولها القصير فعقدها حول عنق الرجل الميت ، ثم جره إلى جوف الحفرة . وعندما أطل القمر على السهل ثانية ، كان المضيف وولده وكلابه الثلاثة تحت الرمال .

وجمع الرجلان بعض الروث فأشعلا منه نارا فوق القبر ، وأخذا يشويان القديد . ثم تناولا عشاءهما فى تلذذ واستمتاع .

قال الراعى ذو البشرة الحمراء :

— ها نحن قد انتهينا . وليس علينا إلا أن نتخذ طريقنا عائدين .

وقام إلى الأغنام الراقدة يثيرها . وأجفلت الأغنام الثلاثمائة مذعورة ، ثم انطلقت نحو السهل . كان من العسير عليها أن تسير

فى وقت قد هيأت أنفسها فيه للركون إلى راحة تطول حتى الصباح. لم تكن لتدرك ، لماذا كان عليها أن تذهب دون طعام . ولكنها عندما أرغمت على السير ، سارت . وفى أعقابها كانت تعدو أربعة من الحمير ، والكلبان الجريحان . ومن خلفها جميعا ، كان الراعيان يدبان بخطوهما الهادئ فى سكون .

— ٢ —

وعندما انقضت أيام عشرة على تلك الليلة ، كانت امرأة سمراء تضرب هائمة على السهل الفسيح . كانت ترتدى ثوبا من الكتان الأبيض ، وتنتعل حذاء طويلا ضخما ، قد عقد رباطه حول ساقيها بإحكام . وكانت تغطى رأسها بقطعة من نسيج أبيض وقد حملت على ظهرها صرة . سارت المرأة منطلقة فى سرعة رغم أنه كان يومها الثالث من رحلتها على قدميها .

كانت القرية التى قدمت منها بعيدة غاية البعد . فقد كان على زوجها أن يرعى قطيعه ويكلأه على أى حال ، وهو لم يعثر على مرعى أدنى من هذا إلى القرية وامتلأ قلبها جذلا عندما التقط بصرها على البعد مرأى شجرة الكمثرى البرية بجذعها الملتوى . إن زوجها يرعى غنمه عادة قرب هذه الشجرة . ولكنها الساعة لا ترى الرجل فى أى بقعة هناك .

كان المكان موحشا ، حتى لقد كان من العسير على أحد أن يعثر على قرية أو مزرعة على مسيرة يوم من هنا . لم يكن من شىء سوى السهل المنبسط فى رهبة . ولو فارق أحد مكانه من تلك

المفاوز ، لكان من العبث ملاقاته. وكذا لم تجد المرأة غير مكان النيران القديمة الخامدة ، فجلست برهة تلتقط أنفاسها .

أنفقت نهارها طوالهفىالتنقيب فيما حول المكان. فى تلك الأماكن التى كانت تذكرها . ولكنها لم تعثر حتى على الآثار التى تخلفها أغنام القطيع . فلا آثار حديثة لحوافرها ، ولا بقايا علفها التى تتناثر خلفها بعد الرعى ، لامعة على الطريق فى ضياء الشمس . لم تكن هناك سوى الآثار القديمة الجافة، التى ترجع لعدة أسابيع مضت وقد غسلتها الأمطار واكتسحتها الزوابع منذ وقت طويل

ورقدت المرأة تحت السماء المخوفة، دون أن تعرف أو تتخيل، إلى أين عساه يكون قد ذهب زوجها . وبعد وسنة قصيرة قلقة ، قامت مع الفجر الباكر ، وسارت من توها لتبحث عن الرعاة الآخرين ، فربما أمكنهم أن ينبئوها بكلمة عن الرجل .

وبلغت مكاناً من السهل ، شهدت فى أفقه البعيد دخانا . إنه دخان سعيد موفور ، هذا ليس رجلها. إنها تعرفه من مجرد النار التى يشعلها. رجلها .. ذلك البائس الطيب، لم يكن ليعنى قط بإشعال نار ، مادام فى طوقه أن يستغنى عنها . كان يحب كل شىء جافا ، وطعامه بارداً. إنه لم يشعل ناراً لإفطاره قط. كان يتناول خبزه وقديده وبصله كما هى على حالها . ولكنه كان يشعل ناراً ، وقت الظهيرة أو فى الأمسية فحسب ، ليطهو وجبة ساخنة . ولم يكن ذلك إلا من أجل الطفل .

وعندما كانت تتقدم ، انطلقت الكلاب الضخمة المتوحشة

تعدو تجاهها ، ولكنها لم ترهبها . كانت تعرف كيف تخاطب مثل هذه الكلاب . أليست ابنة راع من الرعاة؟ وها هي اليوم زوجة راع كذلك و نبحت الكلاب في وجهها وعوت، ولكنها لم تؤذها.

واقتربت من النار ذات الدخان ثم صاحت :

ـــ طاب يومكم أنتم أيها القوم الطيبون .

كان حول النار راع أحمر البشرة ، وثلاثة من صبيان الرعاة .

واستطردت المرأة :

ـــ ألا يعرف أحدكم إلى أين ذهب زوجي بقطيعه ؟ إنه ذلك الذي يرعى في الغرب من هنا .

ـــ ألم يكن معه ثلاثمائة رأس من الغنم ؟

ـــ بلى ، ثلاثمائة . إنه هو . إسمه بودري الراعي .

ـــ إجلسي إذن يا أختاه .

وظلت المرأة واقفة برهة . ولكن ، بما أنها ليست في عجلة من أمرها فلتجلس . ومن ثم فقد جلست القرفصاء على عقبيها ، كما هي عادة الرعاة إذا جلسوا للراحة ، ولكنها أبقت الصرة فوق ظهرها .

ـــ حسنا . أنا لست أدري إلى أين ذهب رجلك . لقد سار نحو مغرب الشمس .

ـــ وإلى أين تراه قد ذهب في هذا الاتجاه ؟

ـــ لم يقل إلى أين هو ذاهب، ولكنه انطلق هكذا ليعبر الدانوب

ـــ ليعبر الدانوب

— لقد مر بهذا الطريق منذ اثنى عشر يوما أو ثلاثة عشر يوما وقال إنه يجب أن يبتعد عن المكان فترة بسبب رجال الشرطة .

— هو ؟ - هو - بسبب رجال الشرطة ؟ - بسبب القانون .

— إنه لم يقل ذلك قط . وقد كنت معه منذ أسبوعين . لم يفه بكلمة عن هذا الأمر .

— لقد كان رجلا صموتا .

— لقد كان هادئا ، ولكن لو كان الأمر كذلك لأخبرنى .

وناولها الراعى ذو البشرة الحمراء شوكته التى كان يقلب بها الحساء .

— دونك الطعام ، كلى بعضا . — لقد أكلت .

— كلى قليلا ، كما لو كان طعامك . إنى لن أنقم عليك لذلك .

ولكن المرأة لم تزد على أن هزت رأسها . لم تقرب الشوكة ولم تغمرها فى الحساء الشهى ، رغم أنه كان به قطع من اللحم الطرى الطيب المطهو مع بعض الأرز . إن هؤلاء الرجال يأكلون جيدا حتى فى وجبات الصباح .

ونظرت تجاه النعاج . كانت الأغنام قد اختلطت . رأت بينها الماعز والنعاج المجرية أيضا . نظرت المرأة ثم تجمدت نظراتها كما لو كانت تنظر إلى قطيعها . لو كان زوجها قد ذهب ، فلن يكون لها بعد ماعز ولا نعاج .

قال أحمر البشرة :

— إنى لأذكر أيضا .. أنه ، عندما كان هنا ، كان يتمنطق بمنطقة مزينة بأزرار من نحاس .

قالت المرأة :

— كان هذا هو حقا . كان يحب تلك المنطقة ، وكان دائما يلبسها حول خصره .

— لقد سألته عنها ، وطلبتها منه ، ولكنه لم يعطنيها .

— كلا لم يكن ليعطيها لأحد على وجه الأرض .

— لقد عرضت عليه كل شيء . ولكنه لم يكن ليأخذ شيئا .

وضمت المرأة كفيها إلى صدرها وقد عصف بها الألم .

— أواه يارجلي . ياذا النفس الطيبة . . !

— ثم قال أنه مضطر للذهاب

— هل تحدث عني ؟ - كلا . فقد سألته عنك . ولكنه لم يجب .

— ولا كلمة واحدة ؟

— قال فقط ، أنك كنت هنا . فسألته منذ متى ، فقال منذ أسبوع تقريبا .

— منذ أسبوع تقريبا ؟ — هل قال ذلك ؟ — نعم .

— إذن فقد كان هنا منذ أسبوع واحد فقط .

— هل من الممكن أن يكون أسبوعا فقط ؟

ونظرت فى تساؤل إلى صبية الراعى ، ولكن أين لهم أن يعرفوا .

— إنهم لايعلمون . لأنهم لم يكونوا هنا آنئذ .

— أين كانوا إذن ؟

— كانوا هنا وهناك . — هل هم جدد على المكان ؟

— جدد أم غير جدد . هم لم يكونوا هنا .

— ولكنى مازلت أسأل . لماذا جاء هو إلى هنا ؟

— لقد مر من هذا الطريق. هذا كل ما فى الأمر. كان يتجول بقطيعه لجاء . ولا بد أن شيئا قد وقع، لأنه كان غاية فى الهدوء .

— لقد كان كذلك .

قالت المرأة هذه الكلمات وقد حدقت بعينين جفت منهما الدموع وأخذ قلبها يدق فى رعب . قالت :

— ألم يخلف أى علامة ؟ — علامة ؟ ولأى سبب ؟ — إذن ثم نهضت واقفة . — ألم يكن الطفل معه ؟

— الطفل ؟ لقد رأيتهما مرة معا . غلام صغير . كان كلاهما مع القطيع — نعم .

— وكان هناك كلبا حراسة كبيران وجرو .

— نعم . إن الأمر كما تقول .

— إنهما لم يمكثا إلا قليلا . ربما عادا فى الخريف .

— سأنطلق للبحث عنهما .

— إذهى إذن . . ولكنك تستطيعين البقاء هنا . كانا بشر وتستطيعين أن تمكثى هنا يوما أو يومين ، كما تريدين .

— هل قلت : سيتجه عبر الدانوب ؟

— نعم ، عبر الدانوب

— إذن فسأسير عبر الدانوب للبحث عنهما .

— يجب أن تتبعى على الدوام . . مغرب الشمس.

— سوف أسأل

ثم نهضت المرأة على قدميها . وجذبت الصرة فحملتها على منكبها وأومأت برأسها ، ثم انطلقت .

وتبعها الراعيان بأنظارهما وهى تبتعد . ثم استأنفا الأكل ، وأخذا يكرعان الجعة من إبريق الفخار . ثم نهضا أخيرا ليلقيا نظرة على القطيع .

وسارت المرأة وأوغلت فى السير بعيدا ، حتى صار من العسير على العين أن تتبينها على ذلك السهل العريض . وارتفعت الشمس ثم ارتفعت إلى قبة السماء ، وكأنما كانت تنظر من دونها إلى المرأة السمراء ذات الرداء الكتانى الأبيض، وهى توغل فى سيرها الكليل عبر البيد . لقد سارت المرأة ثم سارت . . لم تسر إلى بيتها ، بل سارت قدما حيث كانت تسير ، حتى بلغت الدانوب وقد عبرته مع رجل يملك معبرة . ثم استأنفت تسيارها من جديد.

ذهبت إلى كل مكان ترعى فيه قطعان للرعاة .

ظلت تسير طوال أشهر الصيف ، حتى إذا اقترب موعد هبوط الجليد ، كانت قد جابت البلاد طولا وعرضاً باحثة عن الرجل والغلام ، تعقبت كل قطيع وبحثت أمره . جلست إلى كل راع تسأله عن ذلك الرجل الصغير الطيب الصموت، ذى الأغنام الثلاثمائة .

وجاء الشتاء أخيرا ، فعادت تيمم وجهها نحو البيت فى قريتها وفتحت باب المنزل بمفتاحه المخبأ فى مكان هناك ، وعاشت شهور البرد القارس فى دارها .

لقد نما خنزيرها وكبر حجمه أثناء غيابها وكذا الدجاجات وأفراخ الدجاجات، فقد نمت وازدادت عددا . لقد عنى الجيران بكل هذا عناية تامة حتى عادت .

ومع مقدم الربيع ، بدأت تعصف بقلبها الرغبة فى الذهاب وكان لجرو زوجها شقيق صغير أسود ، كان شيئاً صغيرا دقيقاً ولكنه كان بارع الذكاء ودعته إليها قائلة :

— تعال معى أيها الجرو الصغير . دعنا نبحث عن آثار سيدك

وللمرة الثانية ، انطلقت المرأة تضرب فى عرض السهل الفسيح حاملة كل ما استطاعت حمله على ظهرها . وقصدت إلى المكان الذى تركت فيه زوجها منذ عام مضى .

وللمرة الثانية أيضا ، وجدت شجرة الكمثرى البرية . وحطت الرحال كما لو كانت تنوى أن تقضى الصيف بطوله هناك وبقيت فى المكان أسبوعين ، وربما ثلاثة ، فمن يدرى ؟ إنها لم تحص الوقت الذى أنفقته هناك . وقام الكلب الصغير على حراستها . ولما خلت جعبتها من الطعام ، اتخذت طريقها إلى البيت من جديد وحزمت مقدارا آخر من المؤن ، وعادت مرة أخرى إلى السهل الكبير ، حيث يكلأ الرعاة قطعانهم .

أحيانا كان الحر اللافح يكاد يصهر المكان . وأحيانا كانت الأمطار على وشك إغراقه . ولكن المرأة لم تكن لتتخلف المكان . لم يكن لها أن تفعل شيئاً ، سوى أن تهيم على وجهها فى جنبات السهل الكالح القائظ .

ولكن ، لقد حدث فى أغسطس أن عثر الجرو على شىء . جاءها يوما بقبعة .

صاحت به :

— هذه قبعة زوجي . أين وجدتها بالله أيها الصغير .

وقادها الجرو إلى المكان وبدأ ينبش كثيباً صغيرا من الرمل وهو ينبح فى غضب . . .

وأسفر النبش عن ظهور يد بشرية .

وخرت المرأة على ركبتيها ، وأعملت أصابعها العشرة فى الرمال ولم يمض وقت قصير حتى اكتشفت جثة رجلها . كان الجدث مشوها متحللا . وحول العنق انعقدت المنطقة ذات الأزرار النحاسية . ووجدت طفلها أيضاً . كان منكفئاً على وجهه ، والقبعة الضخمة ما زالت على رأسه . وعندما رفعتها ، رأت تحتها شجا كبيرا تأملت المرأة ولدها بعينين جافتين متحجرتين ، لقد كانت مجرد لطمة واحدة من عصا ، ثم انتهى كل شىء ، إنه لم يتعذب كثيرا .

لم تنتقل المرأة طوال اليوم من جوار القبر . ولما هبط الليل هالت عليه الرمال . ثم جعلت من فوقه كومة ، غرست فى قمتها عصوين جعلتهما على شكل صليب ، وما أن تم كل شىء ، حتى ولت وجهها شطر الشرق .

ومع إشراقة الفجر بلغت القطيع سألت الراعى :

— كان هنا راع أحمر البشرة ، يرعى قطيعاً فى العام الماضى ، فأين ذهب .

قال الراعى الغريب :

ــ إنه فى زيجيد .

ــ لا أظن . ولماذا هو هناك ؟

ــ كان لدى رجال الشرطة الكثير ضده . وقد أخذوه لمحاكمته .

ولم تتوقف المرأة ، فقد شدت الرحال إلى زيجيد .

وبلغت المدينة فى ثلاثة أيام . وقصدت من توها إلى رئيس الشرطة . وأفرغت فى جعبته قصتها كاملة .

وسار الجميع إلى مكان الجريمة . المرأة فى عربة والشرطيون على خيولهم ونبشوا القبر من جديد ، وسجلوا ما رأته عيونهم . ثم حلوا المنطقة عن عنق القتيل وحملوها معهم إلى زيجيد .

— ٣ —

كان القاضى ماكرا فى أسئلته .

كان يسأل سجيناً بعد سجين . وسارت القضية ، الكلمة بالكلمة . وبرزت الحقائق إلى الضوء فى بطء .

وتبين أن الراعى ذا البشرة الحمراء قد ارتكب عددا من السرقات والجرائم الأخرى . ولكنه استأهل حبلا حول عنقه أو كاد ، عندما سأله القاضى :

ــ والآن ، ماذا تعرف عن بودرى الراعى ؟

ولم تطرف عينا الراعى ذى البشرة الحمراء .

ــ بودرى الراعى ؟ ــ كان هذا اسمه أثناء حياته .

ــ أثناء حياته ؟

— عندما كان ضمن الأحياء ، كان اسمه بودرى الراعى .
والآن ماذا حدث له ؟

— لست أعرف ياسيدى .

— لقد رعى أغنامه فى جوارك مباشرة هناك فى السهل ، هو وابنه الصغير .

— ربما كان هذا — هل تتذكره الآن ؟

— آه . هاقد تذكرت . الرجل الذى ذهب ليعبر الدانوب .

— هذا مانحب أن نعرف . إلى الدانوب ؟ أم إلى أين ؟

— كان معى قبل أن يذهب . وكانت لديه بعض المتاعب مع القانون ، ولذا فقد سار متخذا طريقه نحو مغرب الشمس .

— هل ذهب ليحط الرحال فى المنخفض، أم ذهب ليستريح؟

— ليستريح على ما أظن .

— وإنى أظن ذلك أيضاً . وقدكنت أنت من أرسله إلى راحته .

— أنا ياسيدى ؟ — مع ابنه سويا .

— لم أفعل ذلك قط ياسيدى .

— أنصت إلى أيها الرجل ، لقد انتهت الحقيقة بالنسبة لك، ولم يبق إلا أن نعرف شيئاً واحداً آخر . ماذا فعل بك بودرى الراعى ؟

— لا شىء ياسيدى . — ألم يفعل بك شيئاً قط ؟

— لم يفعل بى شيئاً قط .

— إذن فما الذى جعلك تقول فى الحانة ، أن بودرى قد رعى

قطيعه فى مراع ليس من حقه الرعى فيها ؟

ورفع الراعى الأحمر البشرة حاجبيه :

ــ لم أقل ذلك قط .　　　ــ لقد سمعك الناس .

ــ لم يسمعنى قط واحد من بنى البشر أقول هذا القول .

ــ أنت تعلم جيداً أن الناس قد سمعوك . لمن قلتها ؟ ولماذا قلتها ؟

ــ إذا كنت قد قلتها ، فلم يكن ذاك بسبب هذا .

ــ إذن لماذا ؟

ــ إنى لم أقلها بسبب هذا . فالرعاة يستطيعون الرعى حيث قد صرح لهم .

ــ لقد كان فى قطيعه ثلاثمائة رأس . فماذا حدث لها ؟ ليس من المعقول أن تختفى كلها هكذا معا . هل أنا على صواب ؟

ــ هذا حق .

ــ فإذا كان الرجل ليس موجوداً ، فالأغنام لا بد فى مكان ما . ماذا كان لديه ؟ ماعز أم نعاج ؟

ــ كان لديه غالباً من الماعز ، إذا كان لديه شىء على الإطلاق .

ــ لقد كان لديه ، هل كان القطيع قطيعه أم لأحد الملاك ؟

ــ يستطيع هو أن يخبرك لمن كان القطيع .

ــ لمن كانت الأغنام ، فيما قال لك ؟

ــ انى لم أحدثه قط طوال حياتى .

ــ إذاً كيف عرفت ؟

ـ الناس تقول. وهو ما رأيت أيضاً إنه يرعى فى جوارى. لم يكن ثرثاراً وإنما كان صموتا .

ـ صموتا ؟

ـ نعم صموتا .

ـ وهل كان صموتا كعادته ذلك اليوم ؟

ـ متى ؟

ـ عندما جندلته بعصاك . هو وابنه أيضا .

ـ هل كان لديه ابن ؟

ـ كان لديه ولد واحد . وقد لطمته أنت لطمة واحدة على رأسه فأسلم الروح .

ـ لا تقل لى مثل هذه الأشياء. إنى لم أحادثه هو أو غلامه قط.

ـ وكيف كنت ستحادثه إذا كان هو لا يفعل ، ألم يكن رجلا صموتا ؟

ـ ماذا تبغى ياسيدى ؟

ـ أريد أن أخفف عنك بعض أثقالك ، لا أكثر ولا أقل.

ـ ولكن ما شأنى بهذه المسألة ؟ ليس لى بها أى صلة .

ـ تذكر قليلا . . فحسب .

ـ ليس عندى ما أتذكر .

ـ أكان معك معول ؟

ـ معول ؟

ـ فوق الحمار .

ـــ فوق الحمار ؟

ـــ لقد كانت الحفرة عملا متقنا .

ـــ ليس من عملي يا سيدى .

ـــ هل سقت قطيع الأغنام بعيدا عن المكان .

ـــ لدى أغنامى الخاصة يا سيدى . وما كان لى أن أهتم بالآخرين .

ـــ ولكن تلك الأغنام... لقد كانت جيدة . ثم إنها ثلاثمائة. وكان بودرى الراعى رجلا لطيفا. كان يسوقها بنفسه ويعتنى بها .

ـــ ربما كان الأمر كما تقول . ولكنى لا أعلم شيئاً .

ـــ هل ما زالت أغنامه ضمن قطيعك ،أم بعتها ؟

ـــ لا تقل لى مثل هذا الكلام .

ـــ إسمع أيها الرجل . إنك لست طفلا ! رجل يعترف بكل خطاياه، لا يليق به أن يراوغ فى ثلاثمائة رأس من الغنم. ما قيمتها بالنسبة إليك ؟ عندما تذهب إلى ربك ـ ربما الآن ـ فيجب أن تذهب نظيفا . لماذا تدنس نفسك بمسألة بودرى الراعى ؟

ـــ لست أدرى ماذا أستطيع أن أفعل .

ـــ إنك لا تساوى أكثر من بصقة على وجهك . لقد ذهبت إلى هناك ، فلما غابت الشمس ، ضربتهما حتى الموت . وقد قتلت الكلاب أيضا ، ثم دفنتهم جميعا فى الرمال .

ـــ لم يكن هذا من صنعى ياسيدى .

ـــ أغرب عن وجهى أيها السافل . . إياك أن ترينى وجهك

مرة أخرى .

وترنح الراعى فى مكانه .

— أغرب من أمامى . أتسمى نفسك راعى أغنام ؟ أيها النذل الشرير ! ثق أن مصيرك إلى المشنقة فهى التى ستمنحك السلام والسكينة .

— إنى لا آخذ ما ليس لى .

— أخرج .

واستدار الراعى وبدأ يسير نحو الباب بخطوات طويلة ثقيلة وعندما بلغه وهم بوضع يده على مقبضه ترنح إلى الوراء .

لم يستطع أن يبلغ المقبض . لم يستطع أن يتحرك . لم يستطع إلا أن يحدق ويحدق . ثم علا الزبد شفتيه المرتعدتين .

فقد كانت المنطقة المزينة بأزرار النحاس معلقة هناك على مقبض الباب . ورفع الراعى يده فى بطء إلى جبهته كأنما يستفيق ولكنه استدار عائداً .

— سيدى . . إنى أعترف .

لم يفه القاضى بكلمة . ظل يحرق الرجل بنظرات كشواظ اللهيب ، كأنما كانت تخترق جسده المترنح .

— لقد قتلنا بودرى الراعى من أجل أغنامه الثلاثمائة والحمارين .

وكف الراعى عن حديثه . ثم طأطأ رأسه فى ذلة .

ونظر القاضى إليه ثم قرع الجرس .

وتقدم شرطيان إلى القاعة .

ـــ خذوه . واعطوه خمسا وعشرين ضربة بالعصا .

وأحنى الراعي رأسه . . وخلف القاعة بخطوات مضطربة .

ـــ أشكركم من كل قلبي يا سيدي .

ونظر القاضي إليه ـــ وهو يبتعد بين الشرطيين ـــ متأملا ثم قال كمن يحدث نفسه :

ـــ متوحشون . .

***

# الأمير وزوجة الأجير

للكاتب : جيجموند موريتز

ترجمة : عبد القادر التلمسانى

فى العصر الجوراسيكى كان السهل المجرى الكبير بحراً . واليوم فى عصر المجاعة لا يزال كما هو .

إنها أرض منبسطة تمتد تحت السماء إلى ما لا نهاية ، وليس هناك رابية أو أقل ارتفاع . إنها منبسطة كما يصبح سطح البحر إن أمكن للبحر أن يسكن ويجمد عن الحركة . كذلك كانت مزارع القمح ، وكأن مهندسى الله قد خططوها بالمسطرة ، وحددوا لكل ساق صغيرة من القمح الطول المسموح به والذى لن يكدر السطح الأملس المصقول كالمرآة .

وتغطى السماء كل هذا كناقوس من الزجاج يعكس السحب والألوان الزرقاء والبيضاء البديعة التى تشعها الملائكة اللاهية المداعبة .

وكأن مزرعة الكونت فى وسط العالم ، فالناظر لا يصافح

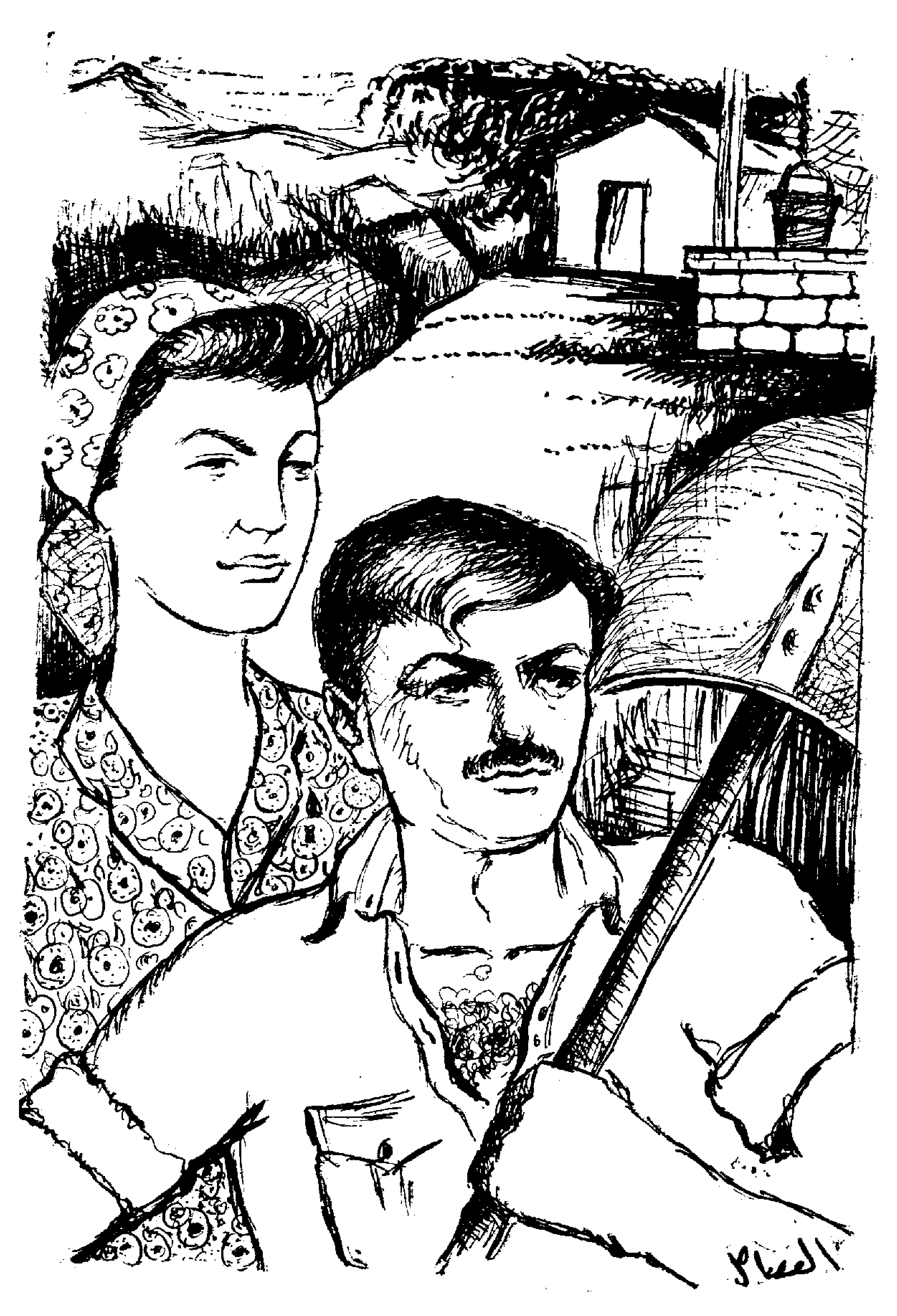
بصره أينما ولى شطره سوى الأفق البعيد الممتد. وقد ظن الكونت بدوره أنه مركز الكون ، فكلما مر على صهوة جواده العربى الأصل فى أى مكان حياه العمال جميعاً ، وكأن إلها شابا يخترق صفوفهم .

ووصل الكونت إلى مزرعة بنجر السكر ، التى تبلغ مساحتها ثلاثمائة فدان ، وتمتد إلى ما لا نهاية مما يذهل المشاهد . ويصطف نبات البنجر الصغير فى المزرعة كصغار التلميذات الرقيقات وقد صففتهن مدرسة الرياضة البدنية فى صفوف منتظمة . ويستطيع الكونت وهو على صهوة جواده ، وكأنه فى علو شاهق أن يرى على مد ، إذ ليس أمامه شجرة واحدة فى تلك الناحية . وبحث الكونت بعينيه عن جماعة العمال وقد جاء من أجلهم هذا اليوم ، وأمس ، وأول أمس ، وكل يوم من أيام هذا الأسبوع .

وهناك ، كانت جماعة من سبعين عاملا ينحنون فوق نباتات البنجر بمعاولهم ينزعون من حولها الحشائش الرديئة ، ويقيمون حول كل شجرة كومة من التراب على شكل قمع مقلوب .

واخيراً تبين الكونت جماعة العمال التى يبحث عنها وتوجه إليها بحصانه . وحينما وصل كان النهار قد انتصف وتوقف العمال عن العزق بإشارة من رئيسهم إنها ساعة الغداء . وخرج العمال من صفوفهم وذهبوا إلى طرف الحقل حيث تنتظرهم زوجاتهم وأولادهم بطعام الغداء . وتحمل النساء الطعام من القرية فى الأوانى ويصلن جميعهن فى اللحظة التى يدق فيها الناقوس فى البرج البعيد .

وهبط الكونت الشاب من على ظهر جواده ورمى بعنانه



إلى صبى صغير . واقترب الكونت من رئيس العمال يسأله :

— متى ستنتهى من هذا العمل التافه ؟

والكونت الشاب فى الثلاثين من عمره قوى البنية ، رياضى ، واثق المزاج ، هادىء الطبع ، ورئيس العمال كهل فى الخامسة والستين من عمره محدودب الرقبة ، حاد الطباع فى وجهه كآبة . وأجاب العجوز فى تواضع .

— لا تغضب ياسيدى الكونت . إن الأرض شديدة الصلابة ، ولم تمطر السماء من زمن طويل ، والعمل يتقدم فى بطء ، لأن الحشائش هى وحدها التى تنبت . وحتى لو عملنا طول الليل فلن ننتهى قبل مساء السبت .

غير أن ذلك لم يكن يعنى الكونت فى قليل أو كثير ، فهو لم يلق بذلك السؤال إلا ليبرر وجوده فى الحقل . وهز الكونت رأسه ثم قال :

— إذن فلتمزقوا طول الليل . وحك رئيس العمال رأسه وهو يقول :

— إلا هذا ياسيدى الكونت فليس هناك أجر يسمح لك بأن تكره العمال على العمل ليلا .

وضحك الكونت ونظر حوله فلمح الشخص الذى أتى من أجله . هى امرأة شابة وجميلة ، هيفاء القد ، ممشوقة القوام . . كانت تقدم فى تلك اللحظة طعام الغداء لزوجها .

( ٢ )

وألقت المرأة الشابة بدورها نظرة على الكونت الشاب . واحمرت وجنتاها قليلا وتثنت فى شىء من الدلال والغندرة .

وهى تتظاهر بأنها لم تره والتفتت إلى زوجها الجالس على الأرض وقالت له وهى تقدم له الطعام :

— كل . .

— ماذا حملت معك ؟

— وماذا تريد أن أحمل ؟ . . بعض الحساء ، كأمس .

ولم يقل الرجل شيئاً ، فهو لايدرى ماذا يقول . إن المجاعة قاسية هذه الأيام فى القرى ، والشتاء قارس البرودة . وقد كان محصول العام الماضى « سيئاً » بسبب الجفاف ، ولم يستطع أحد أن يوفر منه شيئاً للشتاء ، وأغرقت الديون الناس جميعاً . . إن سعر القمح منخفض جداً ، وكبار الملاك أنفسهم لايستطيعون دفع شىء !

ويتنهد الرجل فى عمق ، ثم يرشف فى بطء قليلا من الحساء . . ويسعده أن يجد بعض كرات من العجين عائمة فى المرق القاتم اللون ، وكأنها بقايا زواحف مابعد التاريخ !

ويدعى الرجل كيش يا نوش . كيش : اقصر اسم وأطول قامة .

ويصر الرجل على أسنانه ويبدأ طعامه فى عزم وتصميم .

— لو انى أفكر كم من الحساء شربت فى حياتى . . لو انهم صبوها كلها فى برميل . . وحتى فى قبو مطران إيجير . لا يوجد برميل كبير يستوعب كل الحساء الذى شربته فى حياتى .

ولا تجيب المرأة بكلمة ، وتدير عينيها كأنها مصادفة ، نحو المكان الذى يوجد فيه الكونت الشاب متحدثا مع بعض الناس .

وسأل كيش امرأته :

— هل حملت معك بعض الماء ؟ — كلا .

— لماذا ؟

— لقد حسبت أنك حملت معك هذا الصباح ما يكفيك .

— نعم . لترا واحدا ، هذا كل ما حملت . ولقد شربته عن آخره منذ ذلك الحين .

وصمتت المرأة قليلا مفكرة ثم قالت :

— حسنا ، سأحمل لك غيره . — ولكن بسرعة .

وتناولت الزجاجة من السلة .

— هذا قول يسهل على امرأة ، ومن الواضح أنك لم تعرفى الجندية فى حياتك وحينما كنت أنا جنديا ، كنا نهاجم ذلك الذى يأكل آخر ما لدينا من طعام محفوظ . وإذا حدث ذلك أثناء المعركة كنا نقتله رميا بالرصاص . انا لا آكلها ، هذه القطعة الأخيرة من الخبز ، فلو حدثت مجاعة جديدة فى مزرعة الكونت !

ولم تجب المرأة بشىء ، وتوجهت وفى يدها الزجاجة إلى البئر ، وزوجها يرشف حساءه ، فى بطء شديد ، ولا يتبعها حتى بنظره .

والبئر بعيدة ، فبالقرب من حقل البنجر يبدأ مرعى شاسع من عشرة آلاف ( فدان ) به بئر ومسقى للماشية . وكانت البئر فيما مضى وسط المرعى ، ولكنها الآن على طرفه القصى .

والمرأة تجد فى سيرها ، والريح تعبث بثوبها ، والكونت يتبعها بناظريه حتى اختفت بعيدا ، وهنا قال فجأة :

— يجب أن أذهب لأسقى حصانى . هل يوجد ماء فى البئر ؟

وصمت رئيس العمال طويلا وأخيرا نطق :

ـــ نعم ياسيدى الكونت ، لايزال بالبئر بقية ماء .

ـــ إذن فسأذهب لأسق الحصان .

وامتطى الجواد المطهم ببردعة جميلة صفراء ، وكان الكونت يرتدى بنطلونا قصيرا من الشاموا ، وهو على حصانه فتى رشيق جذاب، وأسرع راكضا ليسقى حصانه .

٣

ووصل الكونت إلى البئر فى اللحظة التى كانت المرأة تجذب الدلو منها . وبدا عليها كأن ظهوره قد أفزعها . وسأل الكونت:

ـــ هل فى البئر ماء ؟

فأجابته المرأة : نعم ياسيدى الكونت .

وقفز الكونت من على ظهر الجواد وسحبه إلى المسق .

ونسيت أن تملأ زجاجتها ، وصبت ماء الدلو بسرعة فى المسق الجافة الكبيرة فلم تمتلىء ، فأرسلت المرأة بدلوها فى البئر مرة ثانية وثالثة .

وغمس الحصان أنفه فى الماء ، ونفخ فيه قليلا ولكنه لم يرد أن شرب فلم يكن ظمآنا .

ضحكت المرأة وهى تقول : الحصان غير ظمآن .

فأجاب الكونت : أنا الظمآن .

ولم تنطق المرأة بكلمة ، وارسلت دلوها من جديد فى البئر ثم جذبته فى عناية ، وملأت زجاجتها وقدمتها للكونت ، فنظر إليها بعينيه الحادتين وقال : الماء لايروينى .

ـــ وما الذى يرويك إذن ياسيدى الكونت ؟

ــ قبلة :

وهنا ، وعلى طريقة الحسان ، رشقته المرأة بنظرة خبيثة مداعبة ثم قالت :

ــ هذا أمر لا يميت .

ــ ومع ذلك ، فأنا لا أريد أن أموت بسببها .

واقترب منها فاحمرت المرأة حتى منبت شعرها .

ــ يا سيدى الكونت نحن فى العراء . ثم ؟ إنى أقول لك ذلك فقط .

ــ ولماذا تقولين ذلك ؟

ــ سيدى الكونت يعلم جيداً .

ــ أنا لا أعلم شيئا .

ــ بل أنت تعلم ، وكل الناس يشاهدوننا

ــ لتعمى أبصارهم إن كان بودهم أن يرونا

ولم تكن المرأة تمزح ، فهربت إلى الطرف الآخر من البئر .

ــ لا تقترب منى ياسيدى الكونت فللناس عيون ترى حتى ما تفكر فيه .

ولقد أراد الكونت أن يلحق بها ، ولكنه توقف عند سماعه جملتها الأخيرة ، وقال لها متوسلا :

ــ إصغى لى ، إنه اليوم الخامس الذى أظل فيه فى الحقل من أجلك . ولكن ألا تريدين أن تفهمى ؟

ــ كلا .

— ومع ذلك فلن تهربى منى أبدا . يجب أن أقبلك .

فأجابته المرأة فى لهجة جادة :

— إن لى زوجاً .

وصمت الكونت لحظة ثم قال :

— وما معنى ذلك ؟

— أما عن تأويل ذلك فأنا أترك الأمر لسيدى الكونت .

— ولكن لا أفهم مرمى ما تقولين . هل تحبين زوجك ؟

— لقد مثلت معه أمام القسيس .

— إنى أسألك إن كنت تحبينه ؟

— ليس من المسموح به أن تسأل المرأة عن شىء كهذا .

— ومع ذلك فيجب أن أعرف .

— ربما استطعت أن تسأل زوجى فى ذلك .

— صه ! لا تمزحى معى . إنى أريدك .

— المرء يريد أشياء كثيرة لا يستطيعها .

— ولكنى لم أتعود على ذلك . لقد تعودت الحصول على كل ما أريد .

— هذه المرة أيضا سيحدث ما يجب أن يحدث .

— ماذا ؟

— مثلا ، سيمتطى سيدى الكونت حصانه ويتركنى فى سلام

— إسمعى . أنا لا أريد أن أسىء إليك . لم أرد سوى الحديث معك مرة .

— ليس لدينا ما يقوله أحدنا للآخر .

— بلى . . الليلة لم أستطع من جديد النوم بسببك .

— لدى السادة من العقاقير ما يكفيهم لكى يجلبوا النوم إلى أجفانهم المسهدة .

— أنت وحدك تستطيعين أن تعيدى إلى النوم .

— لست بساحرة .

— ولكنى أعتقد أنك كذلك. لقــد رميتنى بنظرة يوم الإثنين الماضى وسحرتنى . ومنذ ذلك الحين وأنت تهربين من وجهى كلما إقتربت منك .

— إن الكونتيسات سيواسين سيدى الكونت .

— بل سأقبلك .

واتجه نحوها فصرخت المرأة فى خوف :

— لا تتحرك ، وإلا قفزت فى البئر . ولم يتحرك الشاب ، ومر بيده على جبينه وهو يقول :

— إنك شريرة ، أنت تلعبين بى .

— وكيف أجرؤ على اللعب بكونت ؟

— أنظرى إلى . إن عينى تخرجان من رأسى ، لم أنم منذ خمسة أيام ، ألا تشفقين على ؟

— يا إلهى، ياسيدى الكونت! صراحة، ماذا أكلت اليوم؟

ودهش الكونت لذلك السؤال المباغت . لقد تنــاول فى إفطاره لحما بارداً ، وشرب بعض الخمر فلقد أراد أن يستمد منه بعض القوة ليحدث المرأة . وبدلا من أن يجيب الكونت على سؤال المرأة فى صدق قال :

— أنا لا آكل شيئاً ، ولا أشرب شيئاً منذ خمسة أيام ، ذلك لأنى أتعذب فى حبك.

— إن زوجى يا سيدى الكونت لا يأكل منذ خمسة أيام سوى حساء من الدقيق صباحاً، ونفس الحساء فى الظهر،وفى المساء أيضاً، ودائماً نفس الحساء! ألا تشفق ياسيدى الكونت على ذلك الرجل الفقير ؟

— ولماذا لا تطبخين شيئاً خيراً من ذلك ؟ لحما بارداً. مربى. فواكه . دجاج للغذاء . .

— لاتسخر من الفقراء ياسيدى الكونت . إنى لا أستطيع حتى أن أقدم له شيئاً محمراً. فليس فى المنزل ما يكفى من الدهن حتى لعمل فطيرة أو اثنتين ، وأنا أطبخ دائماً بالماء والملح . لو كان عندى على الأقل بعض البطاطس لقدمتها له .

— ولماذا لم تبدأى بذلك؟إذا أصغيت لى سأعطيك كل شىء وتستطيعين بعد ذلك أن تطبخى ما تشائين .

— دعنى يا سيدى الكونت ، إنى امرأة شريفة .

— وأنا أيضاً رجل شريف . وإذا كنت تحبيننى فلن أهجرك أبدا

— امتط جوادك ياسيدى الكونت ودعنى . إنه الشىء الوحيد الشريف الذى تستطيع عمله من أجلى . لقد أفرطنا فى الحديث ، ولن أعرف كيف أفسر لزوجى غيبتى الطويلة . .

— ستجدين شيئاً تقولينه له .

— أستطيع أن أقول له شيئاً ، ولكنى لا أدرى إن كنت ستفعل ذلك أم لا .

— سأفعل كل شيء من أجلك .

— بعد قليل سينتهى الرجال من عملهم، فلماذا لا تقيم لهم. لهذه المناسبة وليمة وطعاما شهيا ؟ — ليكن، بكل ارتياح .

— هذا كل مافى الأمر، ولا أريد أن أزيد على ذلك شيئاً

— وسأحضر موسيقيين من البوهيميين. ولكن ستحضرين أنت الحفل كذلك .

— إذا صحب كل رجل امرأته ، فسأحضر مع زوجى .

— وسأقبلك ؟ — إذا قبلت كل النساء فلن أتخلف .

— إنك ساحرة، سأقبل حتى العجائز والمسنات لأصل اليك

— فلتركب حصانك الآن وتذهب .

— كلا فسأقود حصانى وأرافقك .

— ليس هذا فى الإمكان ياسيدى الكونت . . لا تستطيع . . لقد تحدثنا طويلا ، ولاحظ الناس ذلك وسيثرثرون ويلوكون سيرتى .

— ما اسمك ؟ — إيفا ( حواء )

— وفى هذه الحالة فان اسمى آدم.

— كلا ياسيدى إنك أنت الكونت فيكتور .

— أرأيت ؟ إن فيكتور يعنى المنتصر ، وسأنتصر عليك .

— إن لديك من الوقت ماتضيعه مع امرأة مسكينة فقيرة مثلى

— إصغى لى يا إيفا، إنى لن آسف أن أمضى كل حياتى معك.

— سيكون ذلك طويلا جدا بالنسبة إلى كونت .

— طويلا جداً ؟ إنه الزمن الذى سأمضيه حتى مساء الغد هو طويل جدا .

ـــ خذ حصانك إذن وأسرع ركضاً فستصل سريعاً . إلى الغد .

وكان الكونت يلتهم المرأة بعينيه المتوهجتين ، وهو يحس أنه لم يسبق له أن التقى بامرأة أظرف منها ، وامتطى جواده وحياها ثم انصرف ، وحملت المرأة زجاجتها وعادت إلى زوجها تفكر .

— ٤ —

ـــ فيما كنت تتحدثين بحق الشيطان مع الكونت الشاب ؟

هكذا صاح يانوش كيش فى وجه زوجته التى جاءت تحمل له الماء . . .

ـــ فى أمر طيب جداً .

وكان الرجل قد شرب كل الحساء ، ومع ذلك فلم يشبع . وبدا على وجهه الجوع . وكان له ساعة راحة . وكان يريد أن ينام قليلا ، غير أن امرأته انتزعت نصف ساعة من نومه . وبدلا من أن يغمض عينيه كان عليه أن يسأل من جديد :

ـــ أيتها الخبيثة .. قولى لى فيما كنتما تتحدثان وإلا أزهقت روحك فوراً .

وجلست المرأة إلى جواره ، ورأت الرجال كلهم . . السبعين رجلا ، ينظرون إليها ، وهم يتشوقون إلى معرفة ماذا كانت تتحدث به إلى الكونت . وحتى النساء والأطفال الذين حملوا غذاء السبعين رجلا كانوا ينظرون إليها وهم على استعداد لكى يبذلوا نصف عمرهم ليعرفوا . وفى المروج كان الرجال يتحدثون عن المرأة التى غازلها الكونت ، لقد قال لها كذا . . وطلب

منها كيت . .

وفجأة صاح الرجل فى امرأته: تكلمى ، ولكن دون كذب .

— إن الكونت يريد أن يقيم لكم وليمة بعد أن تفرغوا من عملكم فى حقول البنجر .

وتعلقت عينا الرجل بامرأته ، ودفعة واحدة نسى غضبه وهمس :

— مأدبة عشاء ؟ — نعم .

وسمع الرجل ( كركبة ) أمعائه .. كانت خاوية من الجوع .

— وماذا يريد أن يقدم لنا فى هذه الوليمة ؟ شوربة دقيق، ربما؟

— لحماً .

— آه هذا خير من الشوربة ، لقد شبعنا منها .

وكان يريد أن يسأل لماذا ناقش الكونت معها هى بالذات مسألة الوليمة، ولكن رأسه كانت متعبة إلى حد لم يجعل لديه رغبة فى الكلام، ونظر فى اتجاه الكونت وهو يتحدث إلى رئيس العمال. كان يقف وحوله جمهرة غفيرة من العمال ، ثم قفز إلى جواده وأسرع يركض ، ورفع الرجال المحيطون به قبعاتهم وقذفوا بها فى الهواء وهم يهتفون فى دوى هائل .

وأسرع صبي يحمل إلى بقية العمال الخبر السعيد ، سيقيم لنا الكونت وليمة عظيمة ويستطيع كل فرد أن يأكل كما يريد ، إذا انتهى العمل غدا مساء .

وهز يانوش كيش رأسه وقال :

ـــ غدا مساء ؟ معنى هذا أنه يجب علينا العمل طول الليل !

وصمتت المرأة ، وكانت تتجنب نظرة زوجها ، وتسرح طرفها بعيدا. كانت تفكر فى أن الموسيقيين من البوهيميين سيحضرون لكى يعزفوا لهم أثناء الرقص ، وكانت تهتز فى جلستها ، إذ يخيل لها أنها تسمع موسيقاهم،وتحس كأن الكونت يقترب منها ويحيط خصرها بذراعه ويراقصها .

واقترب منهما رجل نحيف وقال : ـــ هل سمعت ؟

فأجاب كيش فى صوت مكتوم : ـــ نعم .

قال الرجل : ـــ إنه كريم

ـــ كريم .. إنه إنسان حقير ـــ ولم إذن ؟

ـــ لأنه يريدنا أن نعمل طول الليل .

ـــ نستطيع أن نعمل تحت ضوء القمر .

ـــ القمر هو القمر . . والعمل هو العمل .

ـــ سيعطى الكونت خروفا لكل عشرة رجال . ونستطيع أن نشوى من لحمه ، ونحمر ، وكل ما نريد . . عشرون كيلو من الدهن ، وعشرون كيلو من الجبن الأبيض ، ونستطيع أن نصنع الفطائر بالجبن الأبيض ، وسبعة براميل من النبيذ .

فقال كيش : ـــ هذا قليل .

وبهت الرجل .

ـــ قليل .. كيف قليل .. فأجاب كيش فى هدوء :

ـــ هذا قليل حتى لى لوحدى .

— كيلو لحم لكل واحد ، وربما اثنان . وكيلو من الفطائر وربما اثنان .. فطائر دسمة جميلة . وسبعة لترات من النبيذ لكل رأس .. هذا قليل ؟

— نعم هذا قليل .

— إنك لا تستطيع أن تأكل ثلاثة كيلو من الطعام ، ولا تستطيع أن تشرب سبعة لترات من النبيذ . أى عشرة كيلو فى المجموع .

وكرر كيش قوله فى مكابرة وعناد — هذا قليل .

— وما الذى يكفيك إذن ؟

— كل شىء ، وهو دائما قليل .

— سيقدم لنا أكباشا .. أكباشا كثيرة .. هل تستطيع أن تأكلها السبعة ؟

— نعم .

— والفطائر المصنوعة من قنطار من الدقيق وعشرين كيلو من الجبن الأبيض؟

— نعم .

— والسبعمائة لتر من النبيذ ؟ — وهذا أيضاً .

— وما الذى يكفيك إذن ؟ ماذا تريد ؟

— كل شىء، كل ما يملك هذا الكونت، الثلاثون ألف فدان من الأرض . . قصره ، مزارعه ، قطعان الماشية التى عنده ،

إسطبلات الخيل ، خنازيره . . كل شيء . . كل شيء . .

— وتستطيع أن تبتلع كل هذا ؟

— نعم وهو أيضا من فوقهم — ألديك الشهية ؟

— نعم، بعض الشيء . .

وكانت المرأة تسمع قول زوجها دون أن تتفوه بكلمة ، وقد غاصت رقبتها بين كتفيها . كانت جالسة على الأرض متهدمة تخشى الغد .

— ٥ —

وفى السهل الكبير كان سبعون رجلا يسبقون الشمس إلى العمل . وحملت النساء طعام الإفطار إلى الرجال . لقد جمعن أطيب ما عندهن فى المنزل ، فلقد كن يعلمن أن الرجال قد قاسوا طول الليل ويشفقن عليهم ، ثم أخذن فى الاستعداد، هن أيضا ، لوليمة الليلة ، وبدأن الرقص والغناء . .

وحملت زوجة يانوش كيش إلى زوجها وعاء كبيرا من الطعام ولم يكن الطعام هذه المرة حساء كالمعتاد ، وإنما فطائر وبطاطس كثيرة .

وسأل كيش : — ما هذا ؟

فأجابت المرأة :

— لقد استدنت ، فأنا أعلم أن ليلتك كانت شديدة القسوة وأن يومك سيكون كذلك، ويجب أن تأكل ، وإلا فلن تستطيع أن تتحمل حتى المساء .

وحلق كيش طويلا فى الوعاء ثم سأل امرأته :

— ماذا قال لك الكونت بالأمس ؟

— وما عساه قائل ؟ لا شىء .

— لا شىء ؟ — لا شىء لا شىء مطلقا .

— لقد رأيت فى المنام أنه قال لك شيئا .

— وماذا رأيت ؟ ماذا قال لى ؟

— تعلمين جيدا ماذا قال لك . — لقد نسيت .

— إذن فقد قال شيئا يجب نسيانه .

وترددت المرأة قبل أن تقول :

— لا ، لم يقل شيئا من هذا القبيل .

— إذن ماذا قال ؟

— لم يقل شيئا . لقد سألنى فقط إن كانت خمسين كيلو من الدقيق تكفى لعمل الفطائر .

— وماذا قلت أنت بعد ذلك ؟

— قلت أنها لن تكفى ، لأننا سنكون كثيرين ، فسنحضر نحن النساء الوليمة أيضا .

— تقولين أنكن ستحضرن الوليمة أيضاً ؟

وجذبت المرأة الشابة شالها الذى تغطى به رأسها على عينيها ثم قالت :

— لماذا تزعجنى بكل هذه الأسئلة ؟ لم أتحدث مع الكونت فى هذه الأشياء .

ـ أى أشياء ؟

ـ أشياء تستطيع أن تزعجنى بسببها. لقد قلت له أن عليه أن يعد خروفا لكل عشرة رجال ، لأنهم سيصحبون معهم عائلاتهم.

ـ وزوجاتهم ؟

ـ ستكون أنت وحدك ، إذ ليس لك أولاد

ودفعت إليه الوعاء ، فقال الرجل:

ـ من المؤسف انك استدنت، لأنه إذا استدان المرء شيئاً وجب عليه رده .

ـ سنرد الدين .

ـ وكيف إذن ؟ أنا لا أكسب سوى ست « بنجوس » أسبوعيا .

ـ ليكن ، كل الآن فالنهار طويل، ولن يكون لديك القوى.

ـ بل إن لدى قوه لهذا اليوم يا إيفا .

واختلجت المرأة لدى سماع اسمها . بالأمس قال لها الكونت أيضا: إيفا. لقد ناداها باسمها . ودفعت زوجها فى رقةوهى تقول

ـ كل . .

ـ لا ، لن آكل . . لأنه إذا أكلت فلن أستطيع الليلة أن أبتلع ثروة الكونت .

ـ طبعا لن تستطيع . يالها من فكرة !

ـ أسيكون له ثروة بعد ذلك غدا ؟ أستطيع أن آكل كما أريد ، فهل تظنين أن سيبقى له شيء للغد ، وبعد الغد . ودائما .

— أنا لا أظن شيئاً .

— إذن فلتذهبي إلى المنزل ، وخذى معك الوعاء فلن آكل اليوم ، ولا حتى ظهراً ، والتبقى أنت فى الدار ! ويكفيك أن تأتى الليلة إلى الحفل ، وإذا لم تأت سأحضر لمرافقتك .

دهشت المرأة وحملقت فى زوجها طويلا ثم قالت :

— ماذا بك ؟ يبدو أنك مريض .

وابتسم يانوش كيش فى هدوء ابتسامة من يعرف لماذا يبتسم ، وقال :

— هيا عودى إلى الدار ولا تضطرنى لتكرار ذلك .

وامتلأت عينا المرأة بالدموع . — أوه ! زوجى .. زوجى . . وعقدت يديها وراحت تجهش بالبكاء .

وهنا عدل كيش عن رأيه ، وفكر أنه قد أساء التصرف معها إن المرأة واسعة الحيلة ، ولا بد أن تشك فى شىء ما وقال لها فى رقة .

— حسنا سآكل بعض الشىء .

وراح يأكل . لم يأكل كثيراً ، ولكنه أكل على كل حال . وربت على ظهرها فى صداقة كأنه يربت على ظهر جواد أصيل . ولم يطلب منها حتى أن تعيد الإناء إلى الدار ، وجعل ينظر إليها وهى تلفه فى خرقة . وتضعه فى حفرة فى الأرض .

وتقدم العمل جيدا حتى الظهر ، واستطاع العمال أن يدركوا أن كل شىء سينتهى بعد قليل . وسمحوا لاثنين من بينهم أن يذهبا لتشييد موقد لطهى العشاء .

ووصلت النساء ظهراً ، سبعون امرأة وكلهن فى ثياب الأحد وكأنهن ذاهبات إلى حفل موسيقى كبير ، وحتى العجائز كن على أهبة الاستعداد للرقص ، ولم تكن زوجة كيش هى وحدها فى ثياب الأحد . فابتسم لها زوجها وقال :

— أنت جميلة حتى فى هذا الثوب .

فأجابته المرأة :

— لو أننى جميلة فى نظرك ، فأنا جميلة دائما .

ولم تعد النسوة إلى دورهن بعد الغذاء .

وفى الأصيل كان العمل قد انتهى . . ثلاثمائة فدان قد فلحها سبعون رجلا . وكان الحقل الكبير يمتد حتى السماء والنباتات الخضراء الصغيرة تكسوه .

ووصلت الخراف . وبدلا من سبعة أرسل الكونت أربعة عشر ، ولم يضعها العمال كلها فى الموقد الكبير ، وإنما اقتسموا فيما بينهم الفائض ، وكان الجميع فى سرور يرفعون عقيرتهم بالغناء ويتصايحون فى نشوة . وحملت الريح الأصوات إلى بعيد وملأت بها الوادى .

ووصل الكونت مع الغروب فوق حصانه فاستقبلوه بالهتاف وصافح الجميع الواحد بعد الآخر . . . الرجال والنساء ، يانوش وايفا كيش .

واحتفظ الكونت بيد إيفا فى يده أطول قليلا من الأخريات وقال لها وهو يبتسم .

— كيف حالك يا إيفا ؟

وقال له يانوش كيش ضاحكا :

— اليوم ، سنأكل كل ثروة سيدى الكونت .

فأجابه الكونت فى تبسط :

— كل ، كل . . بقدر ما تستطيع .

وربت على كتفه وهو يقول :

— العامل جدير . . بوجبته .

كما قال يسوع المسيح فى الإنجيل، غير أن المسيح قال «العامل جدير بأجره» ولكن الكونت الشاب لم يكن يجرؤ على ان يقول ذلك وإلا طالب الفلاحون برفع أجورهم ، ورأى أن يكتفى بأن يقول « . . بوجبته »

وابتسم يانوش كيش وقال — إن الشهية لا تنقصنا . . . شهية تجعلنا قادرين على أكل المنطقة كلها . ومعها الأرض وديدانها.

قال الكونت :

— على أى حال لا تأكل شىء ، وإلا أثقل على معدتك ، وأصابتك تخمة .

وضحك الرجل ، وعندما ابتعد الكونت ، قال هو لامرأته .

— إنه لمن المؤسف حقا أنك لم ترتد ثوبا جميلا. لقد اشتريت لك ثوبا جديدا

فأجابته المرأة ، وكانت قلقة :

— إنى مستريحة لهذا الثوب الذى أرتديه .

وبدأت الوليمة وقد صنع الطهاة حتى الحساء، كأنه زيت دسم.

وسألت إيفا زوجها :

— هل تريد حساء؟

ـــ هل هو حساء جيد ؟

ـــ جيد جدا .

ـــ إذن فسأشرب منه ، لقد شربت حساء كثيرا فى حياتى ولكنه لم يكن سوى ماء صحون أسوأ من حساء الخنازير ، إن الطعام الجيد الذى أكلته طيلة حياتى لا يستطيع حتى أن يملأ الوعاء الذى أتيت به هذا الصباح .

وارتشف الحساء ، وشرب من النبيذ كوبا كبيرا . وحملت إليه زوجته طبقا كبيرا من اللحم وقطعة خبز فنظر إليها صامتا فقالت له : ـــ لماذا لا تأكل ؟

ـــ لست متعجلا . أريد أن آكل حتى الصباح ، لم أتناول بعد سوى الحساء

كانت الشمس قد غابت خلف الأفق ، وبدأ القمر يسطع بنوره الفضى ويلمع فى السماء . وكان الكونت فى كل مكان يتحدث مع الجميع . وبدأ النبيذ يلعب بالرؤوس ، والوليمة يزداد صخبها قليلا قليلا ورأى يانوش كيش الكونت وهو يقبل النساء الواحدة بعد الأخرى ، وكان ينتظر دور إيفا ، وإيفا بدورها تنتظر وجسدها يرتعد . وإذا بشرذمة من الجنود تظهر فجأة لا يدرى أحد

## مـــــــلاحظة

حدث خطأ فى صفحة ١١٧ فى بعض النسخ حيث ذكر أن قصة « المتوحشون » ترجمة : عمر رشدى . والصحيح أنها ترجمة : ابراهيم العطار .

من أين جاءت . شباب جميل مرح لا يحمل نوايا سيئة قد أتوا مصادفة . . هكذا يقولون . وفوق رؤسهم خوذات عليها ريش ديكة . وحيا الجنود الجميع فى جلبة عالية . وكان يانوش كيش يضحك وهو يقبض على مديته التى كان يأكل بها .

وفى تلك اللحظة وصل الكونت إلى كيش وزوجته، واقترب من إيفا وانحنى أمامها . . . ولم يقبلها . وحينما دعى الكونت المرأة إلى الرقص ، كان يجلس إلى جوار يانوش كيش اثنان من رجال الشرطة .

والتفتت المرأة إلى زوجها فقال لها وهو يضحك :

— إذهبي . . إذهبي وارقصى . إن الوليمة طيبة ويجب على المرء أن يرقص حتى يسهل الهضم .

وكان الرقص على أشده ، وفى الحلبة خمسون أو ستون زوجا والكونت مع إيفا أمام الموسيقيين . وحاول يانوش كيش أن يأكل . فابتلع لقمة فطير ، ولكنه سرعان ما بصقها وقال لأحد رجال الشرطة :

— يالها من وليمة طيبة . . مرة فى العمر ، ولا يستطيع المرء أن يغترف منها جيداً . لم يعد قادرا على ذلك .

— لماذا ؟

ووقعت المدية من يده فانحنى على الأرض يلتقطها وينظفها وهو يقول :

ـ الإنسان لايستطيع أن يأكل لماذا؟ لأنه فقير لايستطيع الفقير إلا أن يأكل السم ، أليس كذلك ؟ إنه يملأ بطنه بالحساء وحينما يأتى دور اللحم يكون قد انتهى واللحم يأكله غيره .

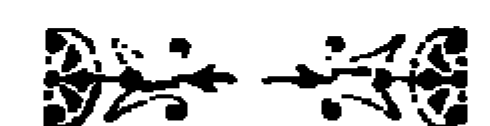
فقال له الشرطى وهو يتأمله مليا : كل . . كل . .

غير أن كيش لم يكن ملتفتا إليه ، كان ينظر فى جهة أخرى. إلى الموسيقيين ثم قال بعد هنيهة :

ـ ليس للمرء معدتان ليبتلع كل شىء . . . بل ليس للفقير معدة واحدة

وفى تلك اللحظة قبل الكونت إمرأته إيفا .

وابتسم يانوش كيش، وشحب لونه واصفر.. ولكنه ابتسم، وتصلبت يده على المدية فى عنف ، وأغمـــدها حتى نهايتها فى جسد الشرطى . .



الثمن ١٠ قروش

دار الهنا للطباعة